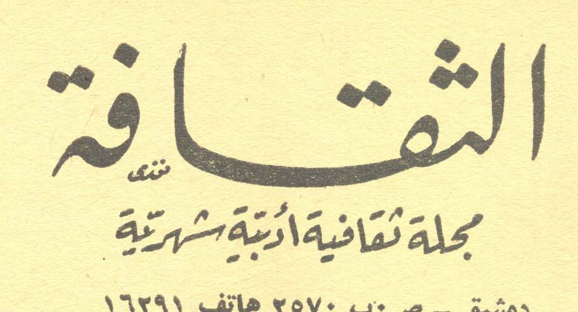
صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE



دمشق – ص.ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

العدد السابع

كانون الاول

١٩٦١

السنة الرابعة

فلسطين تسأل

سالتني عن الصباح فلسطين وعن موعد وعن اشياء
سالتني والليل يذبح عينيها ، متى يمسح الشروق دمائي
مهل عينيك . بيننا رفة الهدب على الهدب في لمامة رائي
زيني الدرب فالمواكب والرايات غصت بها لهى الصحراء
نحن في الدرب عائدون مع الشمس الى الدار عودة الاقوياء
عودة تضفر التراب حديدا وتحني بالجمر خد السماء
أرضنا ملكنا على عمر الدهر تراث الاباء للابناء
غيرنا . من يهز في جوها الاخضر بند الفخار والعلياء
من سوانا يحل فيها ومن يسقي ويسقي سوائغ الانبياء
ليفر باللهيب ليل الطواغيت وينهل غيمهم بالدماء
ليصلصل حديدهم ، ليزمجر ، ليمر صدر غيظهم بالعداء
مهل الظالمين موعدهم يوم عصيب الهياج دامي القضاء
يوم تنشق راجفات البراكين تنهمر حاصبات الفناء
يوم تدوي بالثار حطين والبيت ويسري الدوي في البطحاء
اي بدع من الضمائر امل منزح الطير عن ظلال وماء
فشريد على السبيل نزيل وملم على هوان العراء
ومكب على السراب ظميء يلعق الري من فم الرمضاء
وهريء جوعان ياكل زنديه رجاء في بلغة سوداء
وعجيف عريان يلبسه البرد وما غير لذعه من كساء
نبذ في الثرى ، لقى ، نتف غبر على الشوك نهبة للداء

★ ★ ★

قسما جاهدا بثورتنا الكبرى بدنيا الجدود والآباء
بانين الاطفال بالغصص الحرى وبالحمر من دموع النساء
بعذاب الرجال بالفائر الجائش فيهم بعاصفات الشقاء
قسما بالجراح ، بالدم ، بالاشلاء مكبوبة على الاشلاء
بشباب مقدس الزحف ، عهد الله ، عهدا مجملا بالفداء
بضحايا الاحرار . اغلى يمين عربي الهوى يمين الوفاء
في غد ترجع السبية والغار المندى في مفرق الحسناء
ويموت الزمان في حلم اسرائيل موت اللهاث في الاجواء
في غد يقصف الظلام جناحيه على خطف وثبة مضواء
وتمد الساحات اعناقها الحمر الى ظل ثورة خضراء
في غد تمرع الحياة ويروى النصر والمجد من ضحى النعماء

« نديم محمد »

الأديب العربي والثقافة العالمية

بقلم : عيسى الناعوري

— ١ —

عالمنا الحاضر صغير جدا ، لم تعد عشرات الالوف من الاميال التي تفصل بين بلاد وبلاد ، حواجز تعوق التواصل الانساني السريع المستمر المتين . لقد أصبحت الحدود البعيدة تنهار في ثوان معدودات أمام عبقرية الانسان ووسائله المدهشة للاتصال بأخيه الانسان في كل أرض ، وايصال أفكاره وأخباره اليه بسهولة خارقة .

هذه السهولة في الاتصال ، وهذا اليسر في التبادل ، اللذان جعلا من العالم الواسع ، ذي القارات المتعددة المترامية ، التي تفصل بينها بحار ومحيطات ، عالما صغيرا ، كان لهما أثرهما المباشر كذلك في جعل الاديب العربي يندمج في تيار الفكر الانساني ، ويتغلغل في مختلف فنونه ومدارسه ومذاهبه واتجاهاته وتطوراته ، ويتصل اتصالا مباشرا وثيقا بأعلامه وبما ينتجون من روائع ، فهو من مكانه في غرب آسيا وشمال أفريقيا ، يعرف كل شيء عن الفكر الانساني في كل القارات .

وأستطيع أن أؤكد ههنا أن للاديب العربي ميزة على غيره من أدباء العالم ، في أنه يعرفهم ولا يعرفونه ، ويعيش معهم ولا يحسون به ، ويراقب تطور انتاجهم وتفكيرهم ولا يدرون من أمره شيئا ، انه يعرف لغاتهم فيقرأ آدابهم فيها مباشرة ، وما لا يقرأه في لغته الاصلية يقرأه مترجما الى لغة أخرى أجنبية أو الى العربية ، فهو مع أدب كل أمة وأدب كل عصر ، يقرأ ، ويفهم ، ويقتبس ، ويتأثر ، وهو بالتالي يطور أدبه على ضوء ذلك كله ، بحيث يصبح أدبا انسانيا كغيره من آداب الامم الراقية الاخرى ، وقد قطع في ذلك شوطا جد بعيد ، في الشعر ، وفي القصة ، وفي الرواية ، وفي المقال ، وفي النقد الادبي ، وفي كل فن من فنون الفكر .

والعرب لم يفعلوا هذا في الحاضر فقط ، بل فعلوا مثله في الماضي كذلك ، فقد قامت النهضة الفكرية في العصر العباسي على التلاقح الفكري ، بترجمة الفلسفات والعلوم الهندية واليونانية والفارسية ، فاتصل بذلك الفكر العربي بالفكر الانساني ، وأثر كل منهما في الآخر تأثيرا مباشرا عميقا ، فبينما ازداد الفكر العربي غنى وعمقا عن طريق هذا التلاقح ، رأيناه يمضي قدما فينشىء ويبدع ، ثم يزيد في ثروة الفكر الانساني وينقله مشبعا بالغنى والعمق الى العالم كله ، ويهيىء بذلك ويضع البذور والسماد للنهضة الاوربية ، التي نشأت بعد ذلك وراحت تنمو وتتطور الى يومنا هذا .

لقد تفاعل الفكر العربي مع الفكر الانساني في الماضي ، وهو الآن أكثر تفاعلا معه في مختلف أقطاره ومطارحه ، واذا كان الفكر العربي في الماضي قد هضم ما سبقه وزاد عليه حتى أكمله ، وسلمه الى أوربا ليكون أساسا لنهضتها الحديثة الرائعة ، فان الفكر العربي اليوم يتفاعل مع الفكر الانساني العصري تفاعل الند المبادل ، بعد أن كان في بداية عصر النهضة العربية الحاضرة — أي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين — يتطلع اليه تطلع المستمد المقلد .

وقد يكون هذا في حاجة الى شرح ، فلابين اذن كيف قامت نهضة الادب العربي المعاصر ، وكيف كان الاتصال الجديد بين الغرب والشرق العربي ، وبين الفكر الغربي والفكر العربي الحديثين .

لقد كان التلاقح الفكري بين العرب والغرب دائما عن طريق الحروب والفتوح : العرب في العصور الوسطى هذبوا الفكر الغربي ومهدوا طريق النهضة الاوربية بنشر نتاجهم الفكري في أوربا ، عن طريق الفتح العربي لا جزاء من أوربا ، ولا سيما لاسبانيا وصقلية ، وفي العصر الحديث عاد الغربيون يعطون العرب ما أخذوه منهم عن طريق الفتوح كذلك ، أو ما ندعوه بلغة اليوم بالاستعمار . فنحن عندما ندرس تاريخ النهضة الادبية الحديثة في البلاد العربية ، نجعل من غزوة نابليون لمصر ، في نهاية القرن الثامن عشر ، نقطة انطلاق ، ونعتبر البعثة العلمية التي رافقت تلك الحملة حجر الاساس في تلك النهضة ، وأما الفترة التي سبقت تلك الغزوة ، والتي كانت البلاد العربية فيها خاضعة للحكم التركي ، فنحن ندعوها عصر الانحطاط ، وهي عندنا الفترة المظلمة التي وقفت فاصلا بين الدور الذهبي القديم للفكر العربي ودور انتفاضته الحديثة . في تلك الفترة المظلمة وقفت حركة الاخذ والعطاء بيننا وبين عالم الفكر المبدع ، فلم تكن الدولة التركية المسيطرة في بلادنا العربية ذات أثر فكري أو حضاري ، فيتفاعل الفكر العربي مع فكرها ، ويمضي

الاثنان في بناء حضاري يزيد المدنية الانسانية غنى واشراقا ، وانما تفاعل خمول المحكوم وضعفه مع الجهل الحاكم واستبداده ، فكان الانحطاط الفكري الذي رافق الحياة العربية قرونا طويلة ، كانت كافية لقتل كل أثر للحس العربي ، لولا ما في الامة العربية من عناصر الحيوية والبقاء التي تقاوم كل عوامل الهدم والفناء ، والتي لا تلبث أن تنتفض كطائر الفينق الخرافي ، حية قوية كلما ظن أنها انتهت وتلاشت في رمادها ٠

كانت غزوة نابليون ، اذن ، هي بدء الصلة الحديثة بين العرب والغرب ، ومن الناحية الفكرية كانت اللمسة الاولى التي فتحت العيون المغمضة في بلاد العرب ، لترى دنيا جديدة حية وكنوزا من الفكر الانساني غنية زاخرة، ومن هناك مضى العرب يتصلون بالغرب عن طريق البعثات العلمية الى معاهد أوربا تارة ، وحينا عن طريق الفنيين والعلماء الاوربيين الذين ينتدبون للعمل في بلاد العرب ، وطورا عن طريق المعاهد العلمية الغربية التي تنشأ في الشرق ٠ وكانت هذه الصلة الجديدة – بغض النظر عما ابتلي به الشرق ، من الوجهة السياسية ، من شرور وويلات – وسيلة لبعث الفكر العربي من رقدته الطويلة، ثم لتطعيمه ، فيما بعد ، بلقاح جديد من الفكر الغربي الناهض المتطور ، حتى انتهى الامر الى أن أصبح المفكر العربي ، بوسائل العصر السريعة التي قربت كل بعيد ، على صلة بأدق شؤون الساعة في الفكر الغربي ، يعرفها ويناقش فيها مناقشة الند الواعي البصير ، وهو يطلع على الانتاج الفكري الغربي منذ اليوم الاول لظهوره في أسواق بلاده ، انه يقرأ مؤلفات سارتر في اليوم نفسه الذي يقرأها فيه أهل باريس ، ومؤلفات اليوت في اليوم الذي يقرأها فيه أهل لندن ، ومؤلفات همنغواي في اليوم الذي يقرأها فيه أهل نيويورك ، وهكذا ٠ ولا تنشأ مدرسة جديدة في الغرب الا وتنتقل حالا لتجد لها اتباعا وأشياعا في البلاد العربية ، فيدور النقاش حولها في صحف بلادها والصحف العربية في آن واحد بين مؤيديها ومناهضيها ٠

ولكن هل جاء هذا كله في قفزة واحدة قصيرة ؟!

لقد مضى على بدء عصر النهضة أكثر من مئة وستين عاما ، كان نحو قرن كامل تقليدا للقديم ، وتقليد القديم معناه = اخضاع الفكر والتجربة والاحساس الى اللغة – الى الالفاظ والتعابير ، الى البلاغة وقواعد الصرف والنحو، ومعناه أيضا السير في نطاق الدائرة التي ضربها الاقدمون للاتجاهات والفنون والمفاهيم الادبية ، وهي بالنسبة الى مفهومنا الحاضر بدائية لا تشبع الروح والعقل ٠ وهكذا أضاع العرب نحو قرن كامل من الزمن في اخضاع الحاضر للماضي ٠ كانت أزياء الماضي هي لباس الفكر العربي طوال القرن التاسع عشر كله ، فلم تبدأ المحاولات الجدية للتفاعل مع الفكر الغربي ، والانطلاق من عبودية القديم، الا في القرن العشرين ، ولم تؤت ثمارها الفعلية الا بعد الحرب العالمية الاولى ، بشكل خاص ، ثم بلغت منتهاها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبذلك خاب رأي الشاعر الانكليزي رديارد كلبنج القائل – « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » فقد التقى الفكر الشرقي والفكر الغربي على صعيد واحد ، وعلى مفاهيم انسانية واحدة ، ولم تستطع الاطماع السياسية والمذاهب الاجتماعية أن تقيم الخدود والحواجز ، لان الفكر النير الحر لا يعرف الاطماع ولا يقيم الحواجز ، انه كنور الشمس ، ملك للانسانية كلها ، لا لارباب معنيين ، ولا لاجيال محددة ٠

على أن هذا حاصل من جانب واحد – على الاكثر – وهو الجانب العربي ، ولم يلق بعد الاستجابة الكافية ولا الواعية من الجانب الآخر ٠ فبينما يعيش الاديب العربي اليوم حياة الفكر الغربي المعاصر لحظة فلحظة ، نجد الاديب الغربي يجهل كل شيء عن الفكر العربي المعاصر، وعن أصحابه ، وعن اتجاهاته ومفاهيمه ، والاديب العربي يقوم بعملين في آن واحد عمل الاديب المبدع من عند نفسه ، وعمل المترجم الذي ينقل كنوز الآداب الاخرى الى لغة قومه ، فهو يشارك في الخلق وفي نشر الفكر الانساني معا ، لانه يجيد الى جانب لغته القومية لغة أو لغات أخرى حية تتيح له ذلك ، وليس بين الادباء الغربيين اطلاقا من اهتم بدراسة العربية لينقل روائع الفكر العربي الحديث الى لغة قومه ويعرف بها ٠

غير أن هناك فئة المستعمرين ، وهي فئة قليلة جدا، وهذه الفئة الجليلة العاملة كانت جهودها – ولا يزال أغلبها – منصرفة الى ماضي الامة العربية ، الى تاريخها وثقافتها وفنونها القديمة ، بحيث يخيل الى القارىء الغربي ان العرب أمة ماتت منذ زمن طويل ، فلم يبق منها غير الذكر ٠ ولم يبدأ اهتمام المستشرقين بحاضر الفكر العربي الا في العهد الاخير ، وكان الذين انصرفوا الى التعريف به فئة قليلة جدا ، من أمثال (فرنشسكو غبرييلي ، وأمبرتو تستانو ، ومارتينمو ماريو مورينو ، وجونسون ديفيز) وعدد قليل آخر ٠ فمن هؤلاء من ألفوا في تاريخ الادب العربي الحديث ، وعرفوا بعض كبار رجاله وآثارهم الادبية ، ومنهم من ترجموا بعض الآثار الادبية الحديثة الى لغة أقوامهم ٠ ولم أتمنى ان يكتفي السادة المستشرقون بما نبشوا من آثار الماضي ، وينصرفوا الى روائع الحاضر ، ليزيلوا من أذهان شعوبهم

أن العرب أمة شاخت وماتت من زمان ، فهي لا تدرس اليوم الا كما تدرس الطلول البوالي ٠

على أن الآثار الادبية الحديثة التي ترجمها هؤلاء المستشرقون الاعلام من الادب العربي ، لم تنل من القارىء الغربي حظا من الاهتمام ، بل بقي مدى انتشارها محدودا جدا ، اذ أن عدد النسخ التي تطبع منها يعد بالمئات فقط، كما علمت ذلك من أولئك الاعلام المستشرقين أنفسهم ، والسبب في ذلك - كما بحثته مرة مع المستر جونسون ديفيز - هو ان الغربيين لم يعتادوا أن ينظروا الى العرب نظرة التقدير الجدي ، لان العرب كانوا الى عهد قريب جدا - ولا يزال بعضهم الى اليوم - خاضعين لحكم الغريب ، فهم في نظر الغربيين شعوب متأخرة لا تنتج شيئا ذا قيمة في عالم الفكر ، ولذلك لا يهتم القارىء الغربي بقراءة ما يترجم الى لغته من أدبهم الحديث ، ولكن القارىء الغربي نفسه يهتم كثيرا جدا بكتاب (ألف ليلة وليلة) وحده ، فيعاد طبعه بعشرات الوف النسخ في كل لغة غربية ، ويعتقد أن هذا الكتاب هو النموذج الاهم والاروع للانتاج الفكري العربي ٠

هذه النظرة الخاطئة المجحفة لا تزال تقيم حاجزا ضخما دون التبادل الفكري الحقيقي بين العرب والغرب، يعزل - كما أسلفنا - جانبا واحدا فقط هو الغرب ، ولا يعزل الجانب الآخر ، وهو العرب ٠ ان القارىء العربي يجد بين يديه كل الانتاج الفكري الغربي ، من قصة وشعر ورواية ونقد ، ولا يجد القارىء الغربي بين يديه شيئا من الانتاج الفكري العربي ، ويوم تزول الهوة التي أقامها التعالي وسوء الظن وعدم التقدير ، فعزلت بها الغرب عن الفكر العربي الحديث ، فسيكون التفاهم أقوى وأجدى بين الشعوب الغربية والامة العربية ، لان الفكر النير الحر ، هو رسول الاخاء والحب والسلام والحرية في العالم ، وسيعرف العالم عندئذ أين يضع الاديب العربي من قافلة العالم الحديث ، ومن قطار الادب العالمي المعاصر ٠

- ٢ -

الانسان هو غاية الادب ، واذا قلنا « الانسان » فمن البديهي أننا نعني كل ما له صلة به ، روحا وجسدا٠ ومن الانسان جاءت لفظة الانسانية ٠ فالى أي مدى ساهم الادب العربي الحديث في خدمة الانسان والانسانية ؟ وما هي الاوضاع التي تملي عليه أدبه ؟ ٠

هذه النقطة تحتاج الى شرح طويل يستحق أن يكون محاضرة وحدة ، ولكنني أوجز ذلك بقدر استطاعتي ههنا ٠ وقبل ذلك أود أن أبدي ملاحظة وهي انني وجدت الادب الايطالي المعاصر لا يزال يعيش بروح عهد (المقاومة) على الرغم من أن أكثر من خمسة عشر عاما قد مضت على سقوط الدكتاتورية الفاشستية والنازية ٠ وسبب ذلك أن الشعب الايطالي كان يقاوم الطغيان ليصل الى الحرية، فالمقاومة التي أوصلته الى هذه الحرية تستحق أن تكون شيئا يعيشه ويمجده ويتذكره الشعب الذي خاضه ليصل به الى الحرية ، وانا اعتبر هذه ميزة للادب الايطالي المعاصر ، كما اعتبر ميزة أخرى له أنه يعيش حياة الشعب الايطالي الحاضرة - المأساة منها والملهاة على السواء - يعيشها بصدق واخلاص وجمال فني ٠

ومن هنا انطلق لاقول أن الاديب العربي يعيش أكثر من أي أديب آخر في دنيا مأساة الانسانية المعذبة في أرضه ٠ وهذه حقيقة لا يعرفها في الغرب الا الاقلون جدا ، واذا عرفوها فقل منهم من يفهمون دواعيها وأهدافها الحقيقية ، فاذا لم يكن مؤتمرنا هذا فرصة لشرح هذه الحقيقة المهمة جدا ، فلن تكون هناك فرصة أخرى تتيح لاهل الفكر في العالم الغربي أن يدركوا أوضاع زملائهم في العالم العربي ٠ ونحن لا نستطيع أن ندرس حركة فكرية في شعب ما وفي عصر ما دون ان نلم بالظروف السياسية والاجتماعية التي أثرت فيها وطبعتها بطابعها٠

وان الاديب العربي - سواء أكان مقيما في وطنه ، أم مهاجرا في أقاصي الارض يعيش مأساة الحرية في أرضه، ومأساة الانسانية المعذبة في قومه ٠ فمنذ أن شرع الاديب العربي يحس بوجوده ، ويقدر مسؤوليته ، رأى نفسه أمام أوضاع غريبة مؤلمة في كل جزء من أجزاء وطنه ، فهو في مصر مع ثورة محمود عرابي ضد الاستغلال ، ثم مع ثورة سعد زغلول ضد الاحتلال ، وفي الجزيرة العربية والهلال الخصيب مع الحسين بن علي في الثورة الكبرى للاستقلال ، وفي ليبيا مع عمر المختار ، وفي الجزائر مع عبد القادر الجزائري ، وفي مراكش مع عبد الكريم الريفي في مكافحة الاستعمار بمختلف صنوفه وأجناسه ، وهكذا أيضا في كل أرض - عربية ٠

والى هنا يجب أن أعترف بأن الروح القومية الواحدة لم تكن بعد قد شملت أقطار العروبة كلها ، لتكون حركاتها التحررية حركة أمة واحدة ، يشعر بها جميع العرب ويتآزروا على نجاحها ، بل كانت الحركات كلها أقليمية، يشعر بها ويعمل لها أهل الاقليم الواحد وحدهم ، دون أن يجدوا عونا من الآخرين ٠ واذا كنا قد قرأنا قصيدة لهذا الشاعر العربي أو ذاك في تمجيد ثورات محمود عرابي ، وعبد القادر الجزائري ، وعبد الكريم الريفي ، وعمر المختار ، فقد كانت أصواتا فردية ترتفع مرة ثم

تصمت دون أن تجد استجابة مشجعة في نفوس العرب الآخرين .

وأول حركة أحست بها مجموعة كبيرة من الاقطار العربية ، ووحدت فيها الكفاح والجهد ، كانت الثورة العربية الكبرى التي قادها الحسين بن علي عام ١٩١٦ ، وانضم تحت لوائها عرب سوريا والعراق والحجازولبنان والاردن وفلسطين ، ثم جاءت مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ فهزت كل عربي في الوجود ، ومنها بدأت القومية العربية تتأجج في نفوس العرب ، وتقوى وتتسع ، ثم زادت فيها حرب الجزائر ، وأحداث السويس ، حتى أصبحت الوحدة القومية اليوم هي الرابطة الكبرى التي تلف جميع أقطار العرب في آسيا وأفريقيا ، وأصبح الجرح في جسم عربي واحد جرحا في جسم كل عربي .

هذه الحقيقة الاولية - حقيقة القومية العربية - يجب أن نقررها قبل ان نتحدث عن الاديب العربي ، فاذا لم نفهمها ونقتنع بها فما يمكن أن نفهم الاوضاع الروحية والاجتماعية للاديب العربي ، التي منها يستمد أدبه ، والتي يعيشها روحا وحسا وواقعا ، وفيها وعن طريقها تأتي مساهمته في الادب الانساني ، أدب الكفاح لاجل حرية الانسان وسعادته وتقدمه .

والحقيقة الثانية هي في تعريف الادب العربي الحاضر - منذ عام ١٩٤٨ بشكل خاص ، وهو عام المأساة الفلسطينية - بأنه ، في مجموعه ، أدب كفاح ، أو أدب مقاومة ، أو أدب تحرر . حتى القطع الخيالية والعاطفية والوصفية في أدبنا العربي الحاضر لا بد أن نجد في مقاطعها وحروفها قطرات دم ، وآثار جراح . ذلك لان القومية العربية ، أو الامة العربية ، تعيش الآن فترة كفاح ومقاومة وتحرر لا استقرار فيها ولا هدنة ، فان لم يكن أدبها صورة للحياة التي تعيشها فهو هراء سخيف . ان العالم الادبي كله يستطيع الآن أن يفهم حياة الامة العربية من أدبها ، ويفهم أدبها من حياتها فهما شقان لشيء واحد : معيش ، والشق الآخر مكتوب .

وهناك حقيقة ثالثة لا بد من تقريرها كذلك ، ويجب أن يفهمها الجميع على وجهها الصحيح ، وهي أن تكتل العرب القومي الآن ، ونضال الاديب العربي في سبيل تحقيقه ، ليس تكتلا عدوانيا على الاطلاق ، وانما هو تكتل للدفاع عن النفس أمام الاخطار النازلة على العرب من كل صوب .

ان العرب أمة تريد السلام ، ولكنها لا تريده على حسابها وحدها ، والاديب العربي يحب أن يكون انسانا مجردا عن كل دافع قومي أو عنصري أو اقليمي ، يريد أن يعمل لخير الانسانية كلها ، لا لوطن واحد أو شعب واحد ، ولكن الاخطار المحيطة بأمته تجبره على أن يعمل لوطنه وشعبه ، اولا ، وبكل جهده . على ضوء هذه الحقائق نسير في حديثنا عن الاديب العربي ، وعلى ضوئها وحدها نستطيع أن نفهمه ونفهم أدبه المعاصر ، بعد أن نعرف حقيقة العوامل الملهمة والمسيرة لادبه . أنا ، مثلا ، ليس أحب علي من أن أجعل كل جهودي وحياتي لاجل تنشئة أولادي واسعادهم ، وأن أراهم حولي كالعصافير الجميلة ، هذا يغرد ، وهذا يرفرف ، وهذا ينقر الحب عن يدي ، فأرى الدنيا كلها تضحك لي ولهم ، وتغمرني بسعادة لا حد لها . ولكنني متى رأيت وطني في خطر فأحب الي أن أقدمهم معا للذبح في سبيل الوطن ، لان لا قيمة ولا حياة لنا من دونه . وكذلك حال الاديب العربي في فترة النضال المرير التي تخوضها أمته العربية اليوم .

ولكي نستكمل اطار البحث لا بد من أن نقول ان القومية العربية لم تكن قط دعوة شاملة واعية ملموسة قبل مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ ، وانما كانت - حينما بدأت عام ١٩٠٨ خاصة - دعوة ضيقة لتوحيد بلدان الشرق الادنى العربية وحدها - دون مصر - في بلد واحد مستقل عن الحكم العثماني ، أو متمتع على الاقل بحكم داخلي ضمن الدولة التركية ، حتى أن مصر نفسها كانت تعارض حينذاك الثورة العربية الكبرى ، التي كانت حلما من أحلام العرب في الشرق الادنى ، والتي كانت بداية النضال التحرري العربي الحقيقي ، وقد تجند لخدمتها ونجاحها جميع شعراء العرب ، وكتابهم وخطبائهم وصحافتهم ، في الحجاز والعراق وسوريا ولبنان والاردن ، وضحى الكثيرون منهم بحريتهم وبأرواحهم في السجون وعلى أعواد المشانق في سبيلها .

فلما جاءت مأساة فلسطين عام ١٩٤٨ كانت هي النار التي اندلعت في الهشيم كله ، فأشعلته في آسيا وافريقيا ، وفي مدة قصيرة جدا كانت القومية العربية الشاملة دعوة كل لسان ، وأمنية كل قلب ، ورسالة كل أديب ، وأمل الخلاص الوحيد للعرب مما نزل بهم من ظلم وعدوان . واقتنع كل عربي في العالم بأن لا خلاص للعرب من الظلم والعدوان الا بتكتل أقطارهم ووحدتها أمام الاخطار . وهم يضربون المثل بالعصي التي يمكن تحطيمها بسهولة وهي متفرقة ، ولا يمكن تحطيمها مجتمعة .

والى ما قبل مأساة فلسطين كان الاديب العربي ، في الغالب ، لا رسالة له ولا هدف اجتماعي . كان ينتج

أدبا جميلا ، كغيره من أدباء العالم ، ولكنه لم يكن يعيش أدبه بهدف أو بعمق ، فقد كانت أقطار العروبة متفرقة ، وكان كل واحد منها خاضعا لحكم أجنبي معين ، فهذا بلد تحكمه بريطانيا ، وذاك تحكمه فرنسا ، وذلك تديره هيئة الامم ، وهذا تحرر منذ عهد قريب جد وما زال يتخبط في الفوضى التي خلفها له الحكم الراحل ، وذاك ما يزال يناضل للتحرر ، وهكذا دواليك • وكان الادب يعاني مخاضا رهيبا في هذه الاوضاع العجيبة ، فكنت ترى الكلاسيكي ينبش معاجمه وكتب أسلافه الصفراء ، والرمزي يغني على ليلاه ، والرومانتي يعزف على هواه ، والسريالي يتخبط في مسيره • وكنت تجد الجمعيات والروابط الادبية تنشأ وتموت في كل بلد عربي ولا تترك أثرا مذكورا ، لانها لم تقم على هدف من حياة ، وانما على أساس التذوق الفني ، أو الرغبة في الانتاج المشترك ، أو ما الى ذلك •

وهناك شيء مهم جدا في ايضاح هذه الحقيقة ، وهو أن عامة الشعب القارىء لم يكن لها حينذاك هدف من وراء القراءة ، ولا كانت تبحث عن نفسها وعن أمانيها وآلامها في ما تقرأ ، كانت تقرأ وكفى ، ولذلك كان الاديب أيضا يكتب ما يطيب له ، يكتب وكفى ، ولم يكن النقد الادبي موجها صحيحا ، بل كان في أغلبه مهاترات وحملات عنيفة يتقاذفها الكتاب لمجرد النيل من الخصم أكثر منها للتوجيه وبيان قيمة الانتاج الادبي • والذي يرجع الى أعداد مجلات (الرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمقتطف) وهي نخبة النخبة من مجلات الادب العربي في ذلك العهد ، يرى هذه الحقيقة صارخة ، وهكذا لم يكن (الانسان) غاية الادب الذي كان يكتسب حينذاك ، بل كانت الكتابة نفسها هي الغاية في الغالب ، ومع ذلك كان فيها كثير من الادب الجيد ، دون شك ، وكان للادب أعلام كبار يستحقون الشهرة والمجد •

ولكنني أقف هنا قليلا لانطلق من محيط الشرق العربي الى ما وراء المحيط الاطلسي ، لاسجل أن جماعة من الادباء العرب كانت تعيش على ضفاف المسيسبي والآمازون ، وتنتج أدبا غايته الانسان • تلك كانت فئة المهجريين في الاميركيتين ، وعلى رأسها جبران خليل جبران في الشمال ، وفوزي المعلوف في الجنوب • وآثار جبران معروفة جدا في جميع اللغات الحية ، وعلى الاخص كتابه « النبي » وفوزي المعلوف معروفة آثاره لجميع الناطقين بالاسبانية والبرتغالية خاصة •

كان أدباء المهجر مجموعة كبيرة في الولايات المتحدة الاميركية وفي جمهوريات أميركا الجنوبية ، ولا سيما البرازيل ، ولم يكونوا كلهم على مستوى واحد من الروح الادبية ، ولكن الذين انتجوا من بينهم أدبا انسانيا قلائل ، وقد انتجوا أدبا انسانيا عذبا ، أثبت المترجم منه ، أو الموضوع أصلا في لغة أجنبية ، انه لا يقل اصالة وجمالا عن أي أدب عالمي آخر • واكتفى بأن أشير ههنا الى أدب جبران والريحاني والمعلوف كنماذج لهذا الادب الانساني الجميل •

ولكن أدباء المهجر أنفسهم لم يلبثوا ، حينما وقعت كارثة فلسطين ، ان انغمس الاحياء منهم في أدب المأساة ، واكتووا كلهم بشعور النقمة والالم والثورة تماما كالادباء المقيمين في الشرق العربي الذين عاشوا المأساة أو جاوروا أهلها •

وقد يتساءل الانسان الغربي : ما هي مأساة فلسطين ، وكيف استطاعت ان تغير أمة بكاملها ذات مئة مليون انسان ، يعيشون في أقطار شتى مترامية في آسيا وأفريقيا ، وان تصل الى اميركا فتلهب نفوس مهاجريها بهذا الشكل الرهيب ؟

ومن حقه أن يتسائل ، ومن حقه أن يسمع الجواب ، سينير السبيل لمعرفة الروح التي تسود الادب العربي اليوم ، ولتبين الاوضاع الروحية والاجتماعية التي يستلهم منها الاديب العبي أدبه •

الذين طردوا عرب فلسطين من أرضهم ، وأقاموا في مكانهم دولة غريبة ، كانوا يظنون أن هذا سيكون المسمار الاخير في نعش الامة العربية ، والمعول الاخير في القضاء على المقاومة العربية • ولكن النتيجة جاءت عكس ما أرادوا وتوقعوا ، فقد الهبت المأساة صدور العرب بالنقمة : الهبت أقلام الكتاب والشعراء ، كما الهبت صدور الجنود في الخنادق والثكنات ، وصدور الطلاب في المدارس ، وصدور البدو الضاربين في الصحراء ، وصدور المدنيين في كل مكان من أرض العرب ، وجعلتهم يشعرون أعمق الشعور بأن الوحدة العربية هي وحدها التي تمنع عنهم كل أذى ، ومن دونها ستظل الاقطار العربية كلها فريسة لكل طامع • ولو رجعتم الى كل الاحداث التي وقعت في الشرق الادنى العربي منذ عام ١٩٤٨ الى اليوم ، لرأيتم أن مأساة فلسطين كانت السبب الاول والمباشر فيها • واذا سألتم عن سبب النقمة التي يحسها كل عرابي ضد الدول الغربية التي خلقت المأساة ، واستمرت الى اليوم في مساندة الجريمة ، متحدية بذلك شعور الامة العربية بأسرها ، لعلمتم أن المأساة هي السبب الاول والاهم ، وأن أي شعور مناوىء للغرب في بلاد العرب ليس سوى نتيجة حتمية للمأساة الفلسطينية أولا ، ثم لما جاء بعدها

من مآسي في الجزائر ، وفي السويس ، وفي أطراف الجزيرة العربية ، وفي تونس ، وفي كل قضية عربية وقف الغرب ضدها ٠

الفلسطينيون الذين خرجوا من بلادهم لاجئين مشردين ، وتلقفتهم أقطار العروبة كلها ، استطاعوا أن يؤججوا روح الثورة والمقاومة والتمرد والنقمة في كل مكان ، والجنود العرب الذين حاربوا في فلسطين عام ١٩٤٨ ، وسجل عليهم عار الهزيمة دون أن يهزموا حقا ، هم الذين قاموا بالانقلاب لينتقموا ممن حملوهم عار الهزيمة ، والشعوب التي عرفت صانعي المأساة ومدبريها في فلسطين العربية من الدول الغربية ، هي التي حملت النقمة في نفوسها عليهم ، وستظل تحملها ما دامت المأساة قائمة أمام عيونها ـ أرضا مغتصبة ، وشعبا لاجئا مشردا ٠

وطبيعي جدا أن يتأثر الادب بهذه الروح العامة ، وان ينغمس فيها ، وأن يقودها في جميع الميادين ، وقد فعل ذلك واصطبغ بالمأساة منذ وقوعها ، ونتيجة لها اصطبغ بكل مأساة عربية أخرى جاءت بعدها ، فهو ثورة مستمرة مع ثورة الجزائر الى أن تستقل الجزائر ، وحرب مع حرب السويس عام ١٩٥٦ ، ومعركة مع تونس اليوم ، وهو يؤجج الثأر ويؤلب العرب ، ويمهد لوحدة العرب الشاملة ٠ والاديب العربي يشعر بأن ثورته لن تهدأ الا متى تمت الوحدة ، وزال الظلم والعدوان عن فلسطين والجزائر ، وعن كل أرض عربية ، وعند ذاك فان الاديب العربي ، ابن الارض التي أطلعت جميع ديانات السماء ، سيمد يده الى كل أديب في الدنيا ، باخلاص ينسجم مع رسالات السماء التي طلعت في أرضه ، ليقول له : ـ « هاك قلبي ويدي ، وتعال لنبني معا سلام العالم ، اخوانا متساوين متساندين أحرارا » ٠

وقد يتساءل الانسان الغربي ، أو القارىء الغربي : الى أي مدى صور الادب العربي الحديث مأساة فلسطين؟ والجواب على هذا أنه على الرغم من المأساة قد بدأت منذ ثلاثة عشر عاما ، ولم يبق في العالم العربي كله أديب أو شاعر لم يكتب في هذه المأساة ، الا أن كل ما كتب فيها لا يزال دون فظاعتها ودون هولها ، وهي ستظل توحي الى الاقلام ما دامت قائمة ، ولن تنتهي الكتابة فيها حتى تنتهي هي نفسها : حتى تتعاون أقلام الاحرار في العالم كله ، وضمائرهم والسنتهم على انهائها بشكل يعيد الحق الى أهله ، ويعيد الشعب المشرد اللاجىء الى أرضه المغتصبة ٠ وما يقال في مأساة فلسطين يقال مثله في مأساة الجزائر التي مضى عليها سبع سنوات وهي تخوض جحيم الحرب لاجل الحرية والاستقلال ٠

لقد صور الادب العربي نكبة فلسطين في الوف من القصائد والمقالات والاقاصيص ، ومئات من الروايات والكتب والدواوين ـ صور تعاون المتعاونين على الظلم ، وصور خيانة الانتداب قبل انتهائه وعند انتهائه وبعد انتهائه ، وصور جمال الجنة السلبية ، وصور المؤامرات التي مهدت للمأساة ، والتي رافقتها أو جاءت بعدها ، وصور اللاجئين وخيامهم المنتشرة في العراء تحت الحر والمطر والبرد ، وصور كهوفهم ومغاورهم ، وصور الجوع والامراض التي تفتك بهم ، وصور صبرهم على كل شيء وترقبهم ليوم العودة ، وأملهم في الثأر ، كما صور نضالهم الذي تعاون الغدر والظلم على احباطه ٠

وكما يعيش الاديب العربي المعاصر مآسي السياسة في بلاده ، يعيش كذلك مشاكل الحياة الاجتماعية الداخلية ، مشاكل الفقر والمرض والجهل ، مشاكل الطبقات ، مشاكل القصور والاكواخ ، مشاكل العمال العاطلين والفلاحين الذين تبخل عليهم الارض ، مشاكل المدارس والجامعات ، وبالتالي كل المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها بلاده ٠

ان الاديب العربي أكثر من أي أديب آخر في الدنيا ، يعيش كل الظروف الموجودة في بلاده ، السياسية منها والاجتماعية ، والاخلاقية ، والروحية ، والفنية ، والثقافية ، انه يفكر ويكتب ـ بكل وسيلة فنية تتهيأ له ـ في مشاكل الحكم والسياسة ، ويعالج مشاكل الشعب وحاجاته ، وفي الوقت نفسه يشارك العالم كله في احداث حياته اليومية ، في آدابه ، في اختراعاته ، في فنونه ، وفي كل شأن من شؤونه ٠

هذه جميعها هي الظروف الروحية والاجتماعية التي يعيشها الاديب العربي المعاصر ، ومنها يستمد أدبه ، ويؤدي رسالته في الفكر الانساني وفي خدمة الانسانية ٠ على أن انغماس الاديب العربي في مواكبه مشاكل قومه السياسية والاجتماعية ، وفي الواقعية الادبية ، لم يجعل من الادب العربي المعاصر أدبا التزاميا هادفا بأكمله ، فانصراف الاديب الى معاناة مشاكل أمته ليس معناه أن يتخلى عن كل مفهوم فني آخر ٠ ان الحياة كلها وما وراء الحياة كذلك ، ميدان فسيح للنفس وللادب ، والاديب العربي لا يلتزم جانبا واحدا ولونا واحدا من ألوان الفكر والحياة والفن ٠

ونظرة واحدة على الحركة الادبية الآن ترينا أن هناك مذاهب فنية متعددة تعالجها أقلام الادباء العرب ، ولا سيما الشبان منهم ، وان هذه المذاهب تتصارع وتتصادم بعنف ، وأكثر ما يثير الصراع والصدام بين الاقلام هو الشعر ، فهناك فئة نزعت الى تقليد الشعر

الغربي الحديث ، فجردت الشعر العربي من أهم خصائصه ، وهي الموسيقى والهندسة البنائية ، وفئة ترى أن الشعر العربي لا يبقى له شيء من خصائص الشعر اذا تجرد من الموسيقى والهندسة البنائية . حتى بين المنادين بالشعر الحر الجديد أنفسهم نجد الخلاف عميقا جدا ، فبينما تريده فئة قائما على أساس التفعيلة العروضية ، وتعتبر اللفظة والعبارة شعرا ، بغض النظر عن أي شيء آخر . والمؤلفات التالية تعطينا ألوانا من هذه المفاهيم الجديدة المتصارعة للشعر الجديد وهي : (لمن) لالبير أديب ، وهو يمثل لونا شعريا خاصا ، له أنصاره ومؤيدوه ، و (تموز في المدينة) لجبرا ابراهيم جبرا ، وهو يمثل لونا آخر له أنصاره ومؤيدوه كذلك ، ولكن هاتين الفئتين أقل أنصارا ومؤيدين من اللون الآخر الاكثر شيوعا ، وهو اللن الذي يعتمد على التفعيلة العروضية ، والذي ابتكرته نازك الملائكة في العراق منذ عام ١٩٤٨ ، مبتدئة بقصيدتها (الكوليرا) التي نشرت بعدئذ في ديوانها الثاني (شظايا ورماد) فقد انتشر هذا اللون انتشارا واسعا بين شعراء الجيل الجديد في جميع الاقطار العربية وكسب أنصارا من بعض الشعراءالكبار ؟ وهذا اللون الشعري غربي النزعة (ايليوتي) المذهب ، ولا يزال النقاد والشعراء الكلاسيكيون ينظرون اليه بريبة واستنكار ، ويحذرون من المضي فيه ، ولكنه مع ذلك لا يزال يستهوي كل ناشيء لانه يجعل نظم الشعر عملية هينة لا تتعذر حتى على طلاب المدارس .

أما في النثر فالصراع بين المفاهيم محدود ، اللهم الا بين دعاة الالتزام ودعاة الادب الحر ، ولكن البون ليس واسعا جدا بين الفريقين .

والى وقت قريب جدا كان هناك صراع أيضا على الادب القصصي بين أن يكون صريحا من حيث التصوير الجنسي ، وان يكون مقنعا ، حرصا على الناحية الخلقية لدى النشء الجديد ، الا أن هذا الخلاف قريب من نهايته، لان الادب هو لون الحياة نفسها ونحن في القصة تلاميذ الغرب ، والقصة الغربية اليوم صريحة مكشوفة في الغالب ، ثم أن مجتمعنا العربي نفسه قد ظهرت فيه في السنوات الاخيرة أكثر من (ساغان) واحدة بين الايبات الجديدات ، وظهورهن هذا يعتبر تحديا لكل مفهوم رجعي في شؤون الجنس .

والآن يأتي السؤال التالي ، ولعله هو الغاية من هذه الحلقة التي نجتمع من أجلها اليوم في روما : « ما هي قيمة الادب العربي المعاصر بالنسبة الى الآداب العالمية الاخرى » ؟ وبمعنى آخر : « أين نضع الاديب العربي المعاصر بين أدباء العالم اليوم » ؟ .

لقد قلت الشيء الكثير عن الروح العامة التي ينبع منها الادب العربي المعاصر ، وذكرت في بداية هذا الحديث أن الاديب العربي المعاصر على صلة مباشرة بتيارات الفكر الانساني ، ومختلف فنونه ومدارسه ومذاهبه واتجاهاته وتطوراته في العالم كله ، وأنه يتأثر تأثرا مباشرا بهذه التيارات الفكرية العالمية ، الى جانب تأثره بالعوامل الوطنية في محيطه ، وأنا أؤكد أن أدبنا العربي الحديث قد عرف أعلاما من الادباء والمفكرين لا يقلون ابداعا عن زملائهم الغربيين . ولئن كان الغربيون قد عرفوا أديبنا الكبير جبران خليل جبران ، وأحبوه ، واقبلوا على مطالعة مؤلفاته العديدة الموضوعة بالانكليزية في الاصل ، والمترجمة فيما بعد الى نحو ستين لغة ، فليس جبران سوى واحد من الاعلام الذين أعنيهم ، وأن يكن قد تفرد بلون خاص من الادب والاسلوب . ان لدينا من أمثال جبران عديدين نعتز بهم ونفتخر ، وحين تترجم أعمالهم الادبية الى لغات الغرب ، سيجد القارىء الغربي انهم ليسوا دون الممتازين من كتابه ابداعا واصالة .

اننا نستطيع أن نقدم للعالم عشرات من كبار شعرائنا وكتابنا الاحياء والاموات ، ممن لمعت أسماؤهم في عصر النهضة الحديثة ، وفي القرن العشرين بنوع خاص ، ونحن واثقون من أن العالم سيعجب بهم اعجابا كبيرا . وعسير جدا أن أذكر ههنا أسماء ، فالاسماء عديدة ، وذكر بعضها سيجحف بحق الآخرين ، الا انني اتمنى أن أرى آثار الادباء الآتية أسماؤهم تحتل عن طريق الترجمة المكان اللائق بها بين الآداب العالمية المعاصرة ، وهم : (طه حسين ، سلامه موسى ، توفيق الحكيم ، محمود تيمور ، نجيب محفوظ ، سعيد تقي الدين ، ابراهيم المازني ، توفيق يوسف عواد ، محمد عبد الحليم عبد الله ، احسان عبد القدوس ، يوسف السباعي ، مي زيادة ، مخائيل نعيمة ، ايليا أبو ماضي ، فوزي المعلوف ، شفيق المعلوف ، عمر ابو ريشة ، محمد مهدي الجواهري ، نزار قباني ، سعيد عقل ، بشارة الخوري ، أبو القاسم الشابي) وأمثال هذه النخبة الممتازة من الكتاب والشعراء . ان العالم الغربي الذي أحب جبران خليل جبران على طريق آثاره الموضوعة بالانكليزية والمترجمة عنها ، وأحب فوزي المعلوف عن طريق ترجمته الى الاسبانية والبرتغالية ، وأحب شارل القرم عن طريق ما كتبه باللغة الفرنسية ، سيحب هؤلاء أيضا ، وسيجد في ما انتجته أقلامهم كنوزا أدبية رائعة لا تقل غنى واسما عن آثار الاعلام من كتاب الغرب وشعرائه المعاصرين .

ولقد يسأل سائل : « لماذا لم يفز أديب عربي بجائزة نوبل مثلا ؟ » وأجيب عن هذا بأن جائزة نوبل —

على شهرتها العالمية ـ لم تكن قط مقياسا صحيحا للادب، وانما هي مجرد مكافأة لانتاج جيد ، ليس من الضروري أن يكون أجود انتاج أدبي عالمي ، ولكنها هي نفسها ترفعه الى مستوى عالمي ٠ ولو كانت مقياسا صحيحا نزيها ، لا تلعب فيه المؤثرات ، كما لعبت في الاعوام الاخيرة على الاقل ، لكان (طـه حسين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، ومخائيل نعيمة ، وبشارة الخوري ، وشفيق معلوف ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وسعيد عقل) أحق بها ، دون شك ، من بعض من أعطيت لهـم ٠

بقي الآن جانب لـم أتناوله بعد ، وهو الجانب المادي ، في حياة الاديب العربي المعاصر ، وهذا في الواقع أقل الجوانب أهمية لانه لا يدخل في تقدير عمل الاديب وأثره في المجتمع ، ولكنه قد يعين على استكمال معرفة الظروف التي يعيش ويعمل فيها ٠

الادباء الذين يستطيعون أن يعيشوا من شق القلم قلائل جدا ، اذا أردنا بشق القلم ، العمل الادبي الصرف ، أي الكتابة والتأليف ، غـير أن هناك عـددا من الادباء يعيشون عن طريق الكتابـة للسينما ، والصحافة ، أو التعليم ، وبعضهم يعملون في دوائر الدولة أو غيرها ٠ والمعروف ٠ عادة في أوساط الادب « ان القلم وحده لا يطعم خبزا » ، ولذلك لا بد من مزاولة مهنة أخرى الى جانبه ، ليتمكن الاديب عن طريق دخله منها التوفر على الانتاج الادبي ٠

ودور النشر في البلاد العربية ، ولا سيما في مصر ولبنان ، كثيرة جدا ، ولكن قسما كبيرا منها يعني على الاغلب بنشر القصص والروايات البوليسية والجنسية المترجمة ، لان رواجها أضمن ، وربحها أوفر ٠ وهـذه ظاهرة عامة ، ليست في البلاد العربية فحسب ، فقـد لمستها أيضا في ايطاليا ، فما يدعونه (بالكتب الصفراء) تطبع منه مئات الالوف من النسخ وتنفذ من الاسـواق بسرعة ٠ ولعل الامر كذلك في غير ايطاليا أيضا ٠

وحظ المؤلف العربي من ريع مؤلفاته ضئيل جدا ، وانما الحظ الاوفر يناله الموزع ثم الناشر ، وعدد النسخ التي تطبع من الكتاب الواحد في الطبعة الواحدة لا يتجاوز ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف نسخة الا في النادر ، ولعدد محدود جدا من كبار الادباء القصصين بنوع خاص ، ولا سيما كتاب القصة الجنسـية ، فالقـراء الذين يقبلون عليها هم فئة الطلاب والطالبات ، لانهم يجدون فيهـا تنفيسا عما يعانون من الحرمان والكبت في فورة المراهقة٠ وقليلة جدا الكتب الادبية التي يقدر لها ان يعاد طبعها في عام واحد ٠

والخلاصة أن العمل الادبي ليس وسيلة ربح وحياة مادة ميسورة ، ولكنه رسالة تقوم غالبا على التضحية من جـانب الاديب العربي المعاصر ، وهـو يقبل على هـذه التضحية ويعيش لها بحماسة وايمان برسالته ٠

شمس صغيرة

قصة بقلم : زكريا تامر

كان ابو فهد عائدا الى البيت ، يمشي بخطى متباطئة ، مترنحا قليلا عبر أزقة ضيقة متعرجة ، تضيئها مصابيح صفراء متناثرة ومتباعدة عن بعضها البعض .

وضايق أبا فهد الصمت المهيمن فيما حوله ، فبدأ يغني مترنحا بصوت خفيض :

مسكين وحالي عدم

وكان الليل أوشك أن ينتصف ، وازداد أبو فهد غبطة ، وكان قد شرب ثلاثة أقداح من العرق ، وردد ثانية منتشيا :

مسكين وحالي عدم

وخيل اليه أن صوته الخشن مفعم بعذوبة فائقة ، فقال مخاطبا نفسه بصوت مرتفع :

– أنا مطرب .

وتخيل ناسا ذوي أفواه مفتوحة ، يلوحون بأيديهم ويهتفون ويصفقون . فضحك طويلا ، ثم أمال طربوشه الاحمر الى الخلف قليلا ، وعاد يغني ببهجة :

مسكين وحالي عدم

وكان يرتدي شروالا رمادي اللون ، ويحيط خصره بحزام أصفر عتيق . وعندما وصل الى تحت القنطرة حيث الظلمة أقوى من النور ، ابصر خروفا صغيرا أسود ، يقف لصق الحائط ، ففتح فمه مدهوشا وقال لنفسه : أنا لست سكرانا . انظر جيدا يارجل . ماذا ترى ؟ هذا خروف . أين صاحبه ؟

وتطلع حوله فلم يجد أحدا ، وكان الزقاق مقفرا تماما . ثم حدق الى الخروف وقال لنفسه : هل أنا سكران ؟

وضحك ضحكة خافتة ثم قال لنفسه : الله كريم . لقد عرف أن أبا فهد وام فهد لم يأكلا لحما منذ أسبوع .

واقترب أبو فهد من الخروف ، وحاول اجباره على المسير بدفعة الى الامام غير انه رفض التحرك ، فأمسك أبو فهد بقرنيه الصغيرين ، وجره منهما ولكن الخروف ظل متجمدا لصق الحائط . فرمقه أبو فهد بغيظ ثم قال له :

– سأحملك وأحمل أيضا والدك وأمك .

وحمل أبو فهد الخروف ، ورفعه ووضعه على ظهره ممسكا قائمتيه الاماميتين بيديه . وتابع مسيره معاودا الغناء وقد تضاعف فرحه ونشوته . ولكنه بعد قليل كف عن الغناء اذ أحس أن الخروف يزداد ثقلا وطولا .

وسمع على حين غرة صوتا يقول : اتركني .

فقطب أبو فهد جبينه ، وقال لنفسه : لعن الله السكر .

وبعد لحظات سمع الصوت نفسه يقول : اتركني . أنا لست خروفا .

فارتعد أبو فهد ، ودفعه رعبه للتشبث بالخروف . وتوقف عن السير . وقال الصوت مرة أخرى :

– أنا ابن ملك الجان . اتركني وسأعطيك ما تريد .

فلم يجب أبو فهد ، واستأنف السير بخطى متعجلة ، فقال الصوت :

– سأعطيك سبع جرار ملآى بالذهب .

وخيل لابي فهد انه يسمع رنين قطع ذهبية تتساقط من مكان ما قريب وترتطم بالارض .

فأفلت الخروف ، واستدار وهو يوشك أن يهتف : هات .

ووجد نفسه وحيدا في الزقاق الضيق الطويل ، ولم يعثر على الخروف ، وبقي متسمرا في مكانه هنيهات مرعوبا ثم تابع المسير مهرولا . وحين وصل الى البيت ،

أيقظ زوجته أم فهد من نومها ، وأخبرها بما حدث ، فقالت :

ـ نم أنت سكران •

ـ لم أشرب سوى ثلاثة أقداح •

ـ أنت تدوخ من قدح واحد •

فشعر أبو فهد أنه قد أهين ، فأجاب بتحد :

ـ أنا لا أدوخ اذا شربت برميلا من العرق •

فلم تتفوه أم فهد بكلمة • وراحت تتذكر الحكايات التي سمعتها وهي طفلة عن الجان ولهوهم •

وخلع أبو فهد ثيابه ، وأطفأ المصباح الكهربائي ثم تمدد على الفراش بجانب زوجته ، وسحب اللحاف حتى ذقنه •

وقالت أم فهد فجأة : كان عليك أن لا تتركه قبل أن يعطيك الذهب سلفا •

فلم يجب أبو فهد ، وأردفت أم فهد قائلة بحماس:

ـ اذهب غدا وامسكه ولا تتركه •

فتثاءب أبو فهد متعبا حزينا ، وقال باعياء : وكيف سأجده ؟

ـ ستجده حتما تحت القنطرة • احضره الى البيت ولن نتركه الا بعد أن يعطينا الذهب •

ـ لن أجده •

ـ الجان يعيشون في النهار تحت الارض • وعندما يأتي الليل يخرجون الى سطح الارض ويلهون حتى يقبل الفجر • وهم اذا أحبوا مكانا معينا ترددوا اليه باستمرار • ستجد الخروف تحت القنطرة •

ومد أبو فهد يده الى صدرها ، ودسها بين ثدييها ، وتركها هناك دون حركة •

وقال :

ـ سنصبح أغنياء •

ـ سنشتري بيتا •

ـ بيتا له جنينة •

ـ وسنشتري راديو •

ـ راديو كبير •

ـ وغسالة •

ـ غسالة •

ـ لن نأكل برغلا •

ـ سنأكل خبزا أبيض •

فضحكت أم فهد كطفلة بينما كان أبو فهد يقول :

ـ سأشتري لك ثوبا أحمر •

فهمست أم فهد بلهجة عاتبة : أثوبا واحدا فقط ؟!

ـ سأشتري لك مئة ثوب •

وصمت أبو فهد لحظات ثم قال متسائلا :

ـ متى ستلدين ؟

ـ بعد ثلاثة أشهر •

ـ سيكون صبيا •

ـ لن يتعذب مثلنا •

ـ لن يجوع •

ـ ستكون ملابسه نظيفة وجميلة •

ـ لن يبحث عن عمل •

ـ سيتعلم في المدارس •

ـ لن يطالبه صاحب البيت بالاجرة •

ـ سيكون طبيبا حين يكبر •

ـ أريد أن يكون محاميا •

ـ سنسأله : هل تريد أن تصير محاميا أو طبيبا ؟

والتصقت به بحنو ، وأردفت متسائلة بلهجة ماكرة:

ـ ألن تتزوج مرة ثانية ؟

فعض أذنها عضة خفيفة ، وقال :

ـ لماذا أتزوج ؟! أنت أحسن نساء الارض •

ولاذا بالصمت ، يغمرها فرح كبير هادىء ، ولكن أبو فهد أقدم بعد قليل على ابعاد اللحاف عن جسمه بحركة مباغتة ، فسألته أم فهد :

ـ ما بك ؟

ـ سأذهب الآن •

ـ الى أين ؟

ـ سأجيء بالخروف •

ـ انتظر حتى ليلة الغد • نم الآن •

وترك الفراش بعجلة ، وأضاء المصباح الكهربائي المتدلي من السقف ، وطفق يرتدي ملابسه •

ـ قد لا تجده •

ـ سأجده •

فقالت أم فهد وهي تساعده على لف خصره

بالحزام الاصفر :

ـ اياك أن تتركه ٠

وأحس أبو فهد أنه مقدم على اقتحام مخاطرة ما ، وهو سيكون بحاجة لخنجره ، وكان خنجرا محدودب النصل ذي لمعة كامدة ٠

وغادر البيت ، وانطلق مسرعا حتى وصل الى تحت القنطرة ٠ وغمرته الخيبة اذ لم يعثر على الخروف ٠ وكان الزقاق خاويا ، ونوافذ البيوت المتناثرة على الجانبين مطفأة الانوار ٠ فوقف أبو فهد منتظرا دون حركة ، مسندا ظهره الى الحائط ٠

وتناهى الى سمعه بعد قليل ضجة تقترب ، وما لبث أن بدا رجل سكران يترنح مرتطما بجداري الزقاق بينما كان يهتف بصوت ممطوط :

ـ هيه ٠ أنا رجل ٠

وحين اقترب من أبي فهد ، توقف عن السير ، وفتح عينيه محملقا بتعجب ودهشة ٠

وقال بصوت متعثر مرح :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ امش ٠

فقطب السكران جبينه مفكرا ثم تهلل وجهه فرحا ، وقال :

ـ أنا والله أحب النساء أيضا ٠ هل تنتظر أن ينام الزوج وتفتح لك المرأة الباب ٠

وتضايق أبو فهد ، وأحس بالاستياء ينمو في داخله بينما تابع السكران كلامه قائلا :

ـ هل المرأة جميلة ؟

فقال ابو فهد بحنق : أية امرأة ؟

ـ المرأة التي تنتظرها ٠

ـ امش ٠

ـ سأكون شريكك ٠

واشتد غضب أبي فهد ، فقد كان يخشى أن لا يظهر الخروف لان السكران موجود ، فقال بشراسة :

ـ امش في طريقك والا كسرت رأسك !

فتجشأ السكران ، وقال بلهجة دهشة :

ـ أنت تأمرني ؟! أنت من أنت ؟!

وصمت لحظة ثم أردف قائلا :

ـ تعال واكسر رأسي ٠ هيا ٠

فقال أبو فهد : اذهب واتركني ٠ لا أريد أن أكسر رأسك ٠

فقال السكران بسخط : لا لا ٠ تعال واكسر رأسي ٠

وتراجع قليلا الى الخلف ، وقال بلهجة مرحة :

ـ سأجعلك غربالا ٠

ودس السكران يده في جيب شرواله ، وأخرج منه موسى طويلة النصل ، فسارع أبو فهد ، ومد يده الى حزامه منتضيا خنجره بينما كان السكران يدنو منه بحذر وسرعة ، فرفع أبو فهد خنجره الى أعلى ، وأهوى به ، فتحرك السكران الى اليسار بشكل خاطف مفاجيء ٠ فلم يمسه الخنجر ، ودفع الموسى في صدر أبي فهد هاتفا : خذ ٠

وسحب المدية من اللحم متراجعا الى الوراء بعض الشيء والتصق أبو فهد بالحائط الترابي ٠ ورفع الخنجر ثانية غير أن موسى السكران طعنته مرة أخرى في الصدر وطعنته مرة ثالثة في الكتف اليمنى فتهدلت على الفور الذراع وأفلتت الاصابع الخنجر فسقط على الارض ٠

وصاح السكران وهو يتواثب حوله :

ـ خذ خذ ٠

وطعنه في خاصرته ، فشهق أبو فهد ٠ وأحس بالضعف يداهم ركبتيه فحاول أن يظل واقفا بثبات غير أن الموسى كانت تطارد لحمه وتصطدم به وتمزقه دون هوادة ٠

وصاح السكران : خذ ٠

وطعنه في بطنه ، فاندلقت الامعاء الى الخارج ٠ وضغط أبو فهد عليها بيديه ، وكانت حارة مرتعشة مبتلة ٠ وانزلق منهارا الى أسفل ، وارتمى على ظهره بينما كان السكران ينحني وهو يقف على مقربة منه ، ويسعل عدة مرات ويتقيأ ثم يركض مبتعدا ٠

وسمع أبو فهد الخروف يقول له :

ـ سبع جرار من الذهب ٠

وتساقط ذهب كثير ، وتوهج كشمس صغيرة ، ثم ابتدأ صوته ينأى رويدا رويدا ٠

دمشق ـ زكريا تامر

عبرنا على السبع الشداد نشقها

اليوم تقطع الثورة الجزائرية سنتها السابعة وتدخل السنة الثامنة . ولهذه المناسبة يطلق شاعر الجزائر مفدي زكريا (ابن تومرت) ، نزيل بيروت ، هذه الصيحة المدوية ، من أعماق الانتفاضة الجزائرية الكبرى الى أبناء الامة العربية .

مددنا خيوط الفجر ، قم نصنع الفجرا ... وصغنا كتاب البعث .. قم ننشر السفرا

وغصنا بصدر الغيب ، نجلو ضميره ... ونقرأ من عدل السماء ، به ، سطرا

ورثنا عصا موسى ، فجدد صنعها ... حجانا ، فراحت تلقف النار ، لا السحرا

وكلم موسى الله في الطور خفية ... وفي « الاطلس » الجبار كلمنا جهرا

وانطق عيسى الانس بعد وفاتهم ... فالهمنا في الحرب أن ننطق الصخرا

وكانت لابراهيم بردا جهنم ... فعلمنا في الخطب أن نمضغ الجمرا

تبارك شهرا ! بالخوارق طافحا ... وسبحان من بالشعب في ليله اسرى

فكم كنت ـ يا رحمان ـ في الشك غارقا ... فأمنت بالرحمان ، في الثورة الكبرى !

وكم كنت بين الكاف والنون حائرا ... ومذ قلتها ، يا رب ، جنبتني الكفرا !

ولباك شعب ، كاد يفقد ظنه ... بوعدك لولا أنه يحفظ الذكرا

ويقرأ في التنزيل عند صلاته ... بانك بعد العسر تغمره يسرا

واشربته حب الشهادة ، فارتمى ... على غمرات الموت ، تلهبه الذكرى

وطالبته بالمهر ، ان رام عزة ... فأسرع ، من أرواحه ، يدفع المهرا

ولقنته ، ان الجهاد عقيدة ... طوى الازل العلوي في صدرها سرا

ودون منال المجد جسر ومعبر ... فراح على اكباده يقطع الجسرا

وأعلنت افلاس السياسة فانبرى ... لسوق المنايا صامدا يفتح التجرا

وعن مصرف المستهترين صرفته ... فراح لصراف البقا يجمع الوقرا

وفي ساحة التحرير سوق قوامها ... ضمائر قوم لا تباع ولا تشرى

توزع فيها للشهيد شهادة ... بها بصمات الرب ، تطفح بالبشرى

فالهبت من بركان نارك ناره ... والقيت من علياك في روعه أمرا

وقلت له : «كن» ، قال: «وعدك» ، قلت: خذ ... وهبتك ـ ان امنت بالثورة ـ النصرا

وحاشاك ، هل أخلفت وعدك مرة ؟ ... أطعنا وصدقنا فكنت بنا برا

عبرنا على السبع الشداد نشقها ... ولم تثننا الارزاء أن نعبر العشرا

جزائر . مهما باعد الخطب بيننا ... تباكرني النجوى ، وتهفو بي الذكرى

حنيني الى « القصباء » هاج مدامعي ... وشوقي الى « بلكور » افقدني الصبرا

وفي حي « باب الواد » ماضي صبابتي   تركت بباب الواد من كبدي شطرا

ويا فتنة « الابيار » والسعد باسم   ألم تنسك الابعاد أيامنا العطرا ؟

وفي « القبة » الفيحاء عش خواطري   تركت بها لما أحاطوا بنا وكرا

الا خبريني على منارك لم يزل   يشع على دربي فيغمره بشرا ؟

وهل لم تزل في الحقل ، سنبلتي التي   غرست ، وهل في الحقل زنبقتي الحمرا ؟

مشاهد ، يفنى الدهر ، وهي خوالد ..   تذكرنا أشباحها ، الحلو والمرا

و « سرتا » وما سرتا سوى شرع الضبى   ومرعى الصبا ، سلني ، فاني بها أدرى

ويا « جبل الوحش » الضحوك ، الم تزل   كما كنت مخضل الجوانح مخضرا ؟

ويا ساكني « وهران » بالله خبروا؟   ألم تتركوا للناس دونكم فخرا ؟

ويا ساحة « الطحطاحة » اصطبغي دما   وكوني بسفر المجد في حربنا طغرا

وقف بي على روض « الوريط » ونبعه   ومنحدر الشلال استلهم النهرا

وفي « قرية العباد » لا تسرع الخطى   فتربتها توحي القداسة والطهرا

وفي حرم الصحراء ، أهلي ، وجيرتي   وربعي ، وخلاني . وأكبادي الحرى !

ذكرتهم والسجن لف ظلامه   لواعج الف ، فارق الاهل مضطرا

فكم كنت ، والاهلين ، نعلو نخيلها   ونقطف صبحا من عراجنها تمرا

ونفترش الرمل الوثير وبيننا   حديث نناجي في حكايته البدرا

ونمرح ، والاغنام ترعى حيالنا   تداعبها أطفال قريتنا فجرا ،

ونغدو على الوادي ، نشم غديره   ونغرف ، نستسقي أناملنا العشرا

وتحت الخيام الحالمات جميلة   مرنحة الاعطاف ، فارعة سمرا

اذا ابتسمت فاضت براعمها ندى   وان حركت أجفانها نفثت سحرا

بلادي ، التي أعنو احتسابا لوجهها   وأحمل في الارزاء من أجلها اصرا

بلادي ، التي من ذوب قلبي نظمتها   نشيدا ، فغنى الكون ثورتها شعرا

غمست ، بمطلول الجراحات ، ريشتي   فجاءت رسومي تلهم العقل والفكرا ،

وواكدت في الاعماق ثورة أمتي   ولا زلت ، حتى أرسم البعث والنشرا

بلادي ، يمينا بالذي شرع الفدا   وبالجيش ، في الساحات ، يسترخص العمرا

وبالخمسة الاحرار ، تخطف في السما   ويحجزهم في السجن جلادهم أسرى

وحق الجميلات الثلاث وبالتي   أجابت ، فراحت للفدا ، تهجر الخدرا (١)

سنثأر .. حتى يعلم الكون أننا   أردنا فأرغمنا باصرارنا الدهرا

ويا عربيا في بلاد شقيقة   عروبتنا من يستطيع لها نكرا ؟

فما حربنا ، الا امتداد لثورة   أراد لها ، من كان يخذلها ، خسرا

فلسطين في أرض الجزائر بعثها   فمدوا يدا ، نحم المعاقل والثغرا

فلا عز ، حتى تستقل جزائر   ولا مجد ، حتى نصنع الوحدة الكبرى !

(١) الجميلات الثلاث المحكوم عليهن بالاعدام : جميلة بوحيرد ، جميلة بوعزة ، جميلة بوباشه

الشعر في قفص الاتهام

بقلم : احمد المحمود

وللادب كما لكل شذوذ أو عدوان على النفس والحرز أقضيته الخاصة . لان فعالية الانسان لا تتناول أو تستطيل على ذات أحوالها فقط . بل تتعداها الى أحوال الغير ، فتفعل فيها فعلها المخرب أو تؤلب العقول وتقود الافكار الاجتماعية الى المهوى الذي تسعى اليه مندفعة بحيويتها الخاصة . وانه لحقيقة حقة ، ذلك القول المأثور عن العالم النفساني الفريد فوييه بأن كل فكرة بحد ذاتها ، حركة . فعلى الاجتماعيين اذا ، أن يخشوا كثيرا من الافكار والمشاعر التي يطلقها الفنانون والشعراء والادباء ، من طريق الصحف أو الكتب على أدمغة الناس وأفئدتهم . حتى لكأنها رصاص دمدم يفتك في الجسوم ويخرب أجهزتها الحيوية الداخلية . فلا يعاد لها سبك ولا تستقيد لحبك .

من هذه الفئة التي أطلقت من شواظ أفكارها وعواطفها الغريبة وأحاسيسها المربدة ما اتخذناه موضوعا لحديث اليوم ، الشاعر الفرنسي شارل بودلير ، شاعر الاخيلة الفاجرة واللذاذات المربدة الوجيعة .

لقي بودلير الشاعر العالمي في سبيل شعره وأدبه السجن والتشريد فعاش أخيلته الغريبة في اغتراب دائم عن مجتمعه . وأحس كم تبهظ الحياة ، العبقري الحساس ، حتى لتلفظه من المجتمع والعائلة وتفرده افراد البعير المعبد .

وذاق بودلير قساوة « مهندسي » المجتمع من وعاظ وحكام ، تلك الطبقة التي شاءت دوما ان تتقمص الآله والرسل على الارض ، متخذة من الآلهة الدنيوية ، لا الدينية ، وسيلة للسطو على أهل الفكر والادب . ملاحقة اياهم بسياط التهم والانتقام حتى نهايتهم والى ما بعد مماتهم . ومع ذلك عاش بودلير الشاعر الرجيم في ذواكر الناس ميتا أكثر وأقوى مما عاش بهم ومعهم حيا . وللتكفير عن خطيئة الاحياء بحق هذا الشاعر العظيم ، اضطر القضاء الفرنسي في ٣١ أيار ١٩٤٩ لاصدار الحكم بتبرئة ساحة بودلير من التهمة التي أدين بها عام ١٨٥٧ . والى ان يرد اليه اعتباره بعد الموت . لسبب ان الفن مطلوب لذاته . وبان التعابير الشهوية المثيرة في قصائده الست المشهورة ، موضوع الاتهام والادانة ، انما هي من عمل الفن الانعتاقي الحر ، لا يقصد ولم يقصد به صاحبه ، تخريب الناموس الاخلاقي الفاضل . لانك تستطيع بالفن الرائق العاري ان تثير نباهة الحذر أكثر مما تستطيع فعله ، بالخطب والمواعظ ولا على الشاعر اذا لم يستطع كل قارىء ، استساغة جرعة الفن النبيغ من شعره .

قالت محكمة التميز الفرنسية (الغرفة الجنائية) ما تعريبه بالحرف :

ان الغرفة الجنائية .

بالاستناد الى المادة الوحيدة من قانون ٢٥ ايلول ١٩٤٦ .

في الشكل :

حيث أحيل الى هذه المحكمة عن طريق المدعي العام بأمر صريح من وزير العدل بناء على التماس قدمه اليه رئيس جماعة الكتاب ورجال الادب ، وحيث أن طلب اعادة النظر بقضية بودلير يجد مبررا قانونيا له في القانون الصادر بتاريخ ٢٥-٩-١٩٤٦ .

ولما كان طلب الاعادة قد تقدم في أعقاب عشرين عاما من تاريخ صدور قانون عام ١٩٢٩ وطبقا للاوضاع

القانونية المقررة في احكامه .

وبما ان الحكم المطلوب اعادة النظر فيه ، قد اكتسب الدرجة القطعية وقوة القضية المقضية . نقرر :

بأن الطلب ، والحالة هذه ، مقبول شكلا .

ولجهة وسائل الاثبات والمحاكمة :

ترى المحكمة أن الوثائق المبرزة دعما للطلب ، كافية للحكم . وبالتالي لا ترى لزوما لاجراء تحقيق جديد أو الادلاء بوثائق اضافية .

في الاساس :

حيث أن شارل بودلير وبوليه مالاسي ودي برواز احيلوا على محكمة جزاء السين بانهم اقترفوا بالاشتراك جريمة القذف بآداب الدين المعاقب عليها في المادتين ١ و ٧ من قانون ١٧-٥-١٨١٩ . فبالنسبة لبدولير أولا : اذاع . وبوليه مالاسي ودي برواز باعا ووضعافي التداول، الكتاب المسمى أزهار الشر .

ولما لم تجد المحكمة بالقرار الصادر في ٢٠-٨-١٨٥٧ ما يوجب أخذ الاظناء بجريمة انتهاك حرمة الآداب الدينية فأسقطت التهمة عنهم من هذا الوجه .

ومن جهة ثانية وصفت فعالهم بأنها قذف وشتم للآداب العامة والاخلاق الحميدة فحكمت على بودلير بغرامة قدرها ٣٠٠ فرنكا وعلى بوليه-مالاسي ودي برواز ب ١٠٠ فرنكا . وبحذف واتلاف القصائد الشعرية ذوات الارقام ٢٠-٣٠-٣٩-٨٠-٨١-٨٧- من المجموعة المذاعة.

وتبريرا لحكمها هذا أوردت الحيثيات التالية :

« ان خطأ الشاعر في المقاصد التي توخاها من وراء شعره ، انما هو في الاسلوب الذي اتبعه باختيار الفاظ الزراية والاستهانة بالآداب العامة . لانه غالبا ما يوشح صوره الشعرية بتعابير وألفاظ تبعث هياجا في الحواس وتهاويل شهوات مادية حقيرة . الامر الذي يخل ولا شك بالحياء العام . »

لذلك ،

وحيث ان محكمة التمييز الواضعة يدها على دعوى الاعادة هذه سيرا مع أحكام قانون ٢٧-٩-١٩٤٦ ، تعد محكمة أساس في هذه القضية . وبالتالي تبتدر من نفسها وبملء الحق ، صلاحية تمحيص وقائع هذه الدعوى وأدلتها من جديد .

ولما كان - للقول بان ثمة جريمة قذف بالآداب العامة - لا بد من تحقق عناصر ثلاث :

١ - النشر .
٢ - الاخلال بالحياء العام .
٣ - النية الجرمية .

وحيث حادث النشر لم يكن منكورا .

ولجهة خدش الحياء . فان المحكمة ترى ان المقاطع الشعرية المظنون فيها ، لا تتضمن أي لفظ أو تعبير مخل بالحياء العام أو ناب عن الذوق يمجه الشعور الفاضل . وبالتالي فان اسلوبها التعبيري لا يتعدى الحدود التعبيرية الحرة المسموح بها للشاعر الموهوب .

وحيث ، ولئن كانت بعض الصور الفنية في شعر بودلير بما تضمنته من أحاسيس غير مألوفة لذهنية وحشمة العصر ، قد أهلعت خواطر ناساته عند ظهورها لاول مرة في طبعة « أزهار الشر » فحسبها القضاة الاولون بأنها مهينة للآداب العامة .

مثل هذا الفهم أوحت لهم به حرفية النصوص الشعرية . ولكنه غير متسق مع واقع الرمزية التي قصد اليها الشاعر . وبالتالي يكون وصفهم لها هذا ، تحكيما ، لم يصادق عليه لا الرأي العام لدى القراء ولا آراء الادباء ورجال الفكر .

ولجهة العنصر الثالث للجريمة المعزوة : النية . نقول بأنه : « لما كانت محكمتنا الناظرة بهذه القضية ، قد لحظت واعترفت بالجهود التي أبداها الشاعر للتخفيف من كابوس صوره الشعرية المثيرة . »

وحيث لا شائبة على هذه القصائد المظنون فيها الموصوفة بقرار محكمة ١٨٥٧ . وعباراتها خالية من كل ما يمس الحياء العام أو يفضحه . وهي بعد ، من عمل الالهام النقي الطهور .

ولما كانت جريمة انتهاك الآداب العامة المنسوبة للشاعر وناشري ديوانه « ازهار الشر » غير قائمة أساسا • فينبغي والحالة هذه ، زخرفة كابوس الادانة عن ذاكرة بودلير ورفاقه • وحط أثقال الحكم الصادر عن كاهلهم •

لهـذه الاسباب

تقـرر :

أولا : نقض فالغاء الحكم الصادر في ٢٧ آب ١٨٥٧ عن الغرفة السادسة لمحكمة جزاء السين موضوعاء وذلك من ناحية ادانة بودلير ورفاقه بجريمة اهانة الآداب العامة والاخلاق الحميدة •

ثانيا ـ محو الحكم المشار اليه ونشر واذاعة هذا القرار وفقا لانظمة نشر القرارات القضائية • وتسجيله في سجلات محكمة السين الجزائية نفسها •

الرئيس : باتستيني
المقـرر : فالكو
المحامي العام : دوبوتيش

هـذا هو نص القرار الشهير الـذي استعاد بـه بودلير شرفه واعتباره بعد الممات • فقد حكم عليه وعلى ناشري ديوانه « أزهار الشر » من أجل القصائد الست التالية :

١ ـ الحلي
٢ ـ النسيان
٣ ـ جزيرة ليسبوس
٤ ـ الى المرحة جدا
٥ ـ اللعينات
٦ ـ شاربة الدماء

ولكن بودلير لم يعبأ بالحكم • وتركه يسري بحقه دون أن يستأنفه • ولحسن الحظ أمهل باداء الغرامة التي خفضت فيما بعد • فاتجه الشاعر اثر هذه الصدمة الى ترجمة مؤلفات الشاعر « ادجابو » الى ان ارتهكت عزائم روحه وجسمه فمات باكرا في سن السادسة والاربعين عام ١٨٦٧ •

أما بوليه ـ مالاسي فلم تهن له عزيمة برغم هـذا القرار ولم يتخل عن مهمته في اذاعة ونشر آثار بودلير • فأعاد نشر القصائد الست المحرمة ، في بلجيكا بعنوان جديد : « الحطام » سنة ١٨٦٦ مع بضع مقطوعات غير منشورة لبودلير • وعندما دخلت هذه الاشعار ، فرنسا ، عوقب الناشر بشدة بالحبس سنة واحدة وبغرامة قدرها ٥٠٠ فرنك • وظلت « أزهار الشر » حقبة طويلة تطبع وتنشر دون القصائد المخطورة • ولكن القصائدالمخطورة ظلت تسير في الاذهان والذواكر ، يرددها الناس وهواة الادب ، جيلا بعد جيل • واستمر مرير الزمن الى أن عادت للظهور في الطبعات الاخيرة • فعجزت السلطات العامة عن قمع هذه المخالفة • وتبلدت النيابة حيال هذا النصر الادبي يحـرزه الشاعر بودلير وأنف (حكم ٢٧ـ٨ـ١٨٥٧) راغم •

بيد ان القرار القضائي ما برح قائما في نظر العدالة الفرنسية التي اضطرت لاعادة النظر فيه ، بغية تحصيل الانسجام بينها وبين الواقع الادبي المنتصر • فأصدرت محكمة التميز حكمها بعام ١٩٤٩ هـذا الـذي عربناه مبرئة ساحة بودلير من التهمة الاليمة التي أدانته بها محكمة السين عام ١٨٥٧ •

يستمد قانون اعادة محاكمة بودلير أصوله من مشروع كان قد تقدم به الوزير الاديب لوي بارتو بعام ١٩٢٩ وكان يومئذ وزيرا للعدل ، مهد لاستصداره بالموجبات التالية :

« تشكل المادة ٤٤٣ من أصول المحاكمات الجزائية السبيل الوحيد لاعادة المحاكمات القضائية • وذلك في حالات ضيقة محدودة كظهور « حادث جديد » من شأنه اظهار براءة المحكوم عليه • »

الا أن هذا النص بما تضمنه من مرام تشريعية ، لا يسمح باعادة المحاكمة للمحكوم عليهم من فئة الكتاب والادباء من جراء تواليفهم • لان الكتاب أو الاثر الادبي المخطور مهما تكن قيمته ، لا يعد « واقعة جديدة » أو

بمثابة دليل جديد يدعو الى اعمال نص المادة ٤٤٣ • وقد تبيح شهرة وذيوع الأثر الادبي ، اعادة النظر جزئيا في بعض الاحوال • ولكن الا يمكننا القول فالتسليم بأن الاثر الادبي المخطور بما ذاع واشتهر ، قد استعاد اعتباره رغم الحكم القاضي بمنعه ؟ » .

فقد تزول صفة خدش الحياء العام ، عن الاثر الادبي بعامل تحول الزمن وتغير وجدانه • لان ما كان يبدو لقاضي عام ١٨٥٧ جريمة انتهاك للحياء العام ، قد لا يبدو كذلك ، لقاضي ١٩٤٩ أو لمن كان قبل هذا الاخير بكثير •

ولكن الشارع أراد بقانون ايلول ١٩٤٦ ان ينجو من صيف التناقض بين واقع القضية المقضية بالنسبة لبودلير وبين الواقع الادبي الصارخ • فأوضح فكرته قائلا :

« ان الزمن الذي يزيل عن الأثر الادبي ملامحه الشائهة وطابع العصر المهلهل ، كفيل ان يرد للاثر اصالته ووجهه النضير • »

واذا تجب اعادة النظر في وضح هذه الاعتبارات الادبية أيضا وتخضع بملء الحق ، لتمحيص القضاء المطلق •

ان رجال الفن مدينون في الواقع لهذا الوزير الاديب (لوي بارتو) بهذه المحاكمة التي انتجت تشريف ذاكرة بودلير حفاظا ووفاء للفن الشعري الرائق النبيغ • فلا تهمنا نحن ـ أهل القانون ـ مثالب هذا التشريع البدعة في بابه ، بقدر ما تهمنا النتيجة الادبية الراضية المرضية ، عسى أن تقر بها عظام بودلير في قبره •

الشاعر بين فكي المقرر والنائب العام :

تولى مقرر محكمة التمييز المستشار فالكو ببلاغته المعهودة وأسلوبه الشيق تحليل وقائع الدعوى وشخصية المرعى عليه الميت ، فاستحضره من غيابة القبر والاضابير التي عض عليها الزمن • وبعد أن سرد وقائع القضية القديمة ومرتكن الادانة قال :

« كان عام ١٨٥٧ عام العفة القضائية الكبرى • وما ان أزلفت هذه السنة الى الزوال والمغيب حتى اجتاحت أزاهير للشر أشر من أزاهير بودلير عقول وأفئدة العصر، راحت تطبع أدبنا السائر دون أي رد فعل أو مقاومة من قبل السلطات العامة • »

« أليس من الغريب حقا ان ندمغ أزهار بودلير وذاكرته بالاتهام الجرمي في حين ، الادب والادباء قد شرفوا ذكراه وداوموا على تعظيمه • ان التشريف الادبي لوحدة لا يكفي للتعويض على سمعة الشاعر المظلوم ولا لورثته من بعده •

وان محكمتكم ياسادة ، انما اجتمعت اليوم ، لا لتستمع فقط الى حوادث الادب ووقائع التاريخ القضائي في هذه البلاد وحسب • بل لتنطق أيضا في موضوع الالتماس المقدم اليها • الا وهو :

« هل أن المقطوعات الشعرية المتهمة ، تشكل ، في الحق ، شتيمة للآداب الحميدة ؟ »

ونستطيع منذ الساعة أن نعلن بأن القصائد المعنية لم تجنح ، بتعابيرها الشعرية ، عن الحدود المسموح بها لشاعر عبقري • لان هذه الاشعار مستمدة في الواقع من الهام نقي • وهي بالرغم من فجورها الظاهري ، توحي بامثولة ندت بها روح مضطربة وفكر معذب • وان بعضها قد دخل حرم الخلود واتخذ مكانه فيه نهائيا لا بين أخلد آثار الادب الفرنسي فحسب ، بل بين أخلد الآثار الفنية في كل العصور • »

« لم يعد ناسات زماننا يرون خطرا كبيرا في التعابير الداعرة الواردة في شعر بودلير • لاننا أصبحنا أشد قرفا منها وأقل مبالاة بها من ناسات عصر بودلير ولذا من عقيدتي ان الجرم المنسوب لصاحب « أزهار الشر » ورفاقه ، لم يعد قائما ، لا في الموضوع ولا في القصد وبالتالي لم يعد له من أساس قانوني البتة • فعليكم أيها الزملاء ان :

تصححوا الخطأ الذي اقترفه قضاة من العصر الغابر

ضللتهم أخلاق أهلية ، فجاروا على أثر فني صادق أحياه الزمن ونور له صفحته من جديد • فلا بد انكم معيدون لهاته « الازهار العليلة » عطرها الاول • أزهار كان عبقها باهظا على درب الشاعر الطريد الذي قال فيها : انها كانت سبيلا تعسا لسوءالفهم • »

وجاء دور النائب العام دوبوتيش فقال :

« ان ديوان « أزهار الشر » أشهر انتاج أدبي بل أذيع أثر شعري بين مخلفات الشعر الفرنسي • ان كتيبا واحدا جعل من بودلير ، الشاعر الاول في حضارتنا الشعرية وجاوز به ، حدود الوطن • »

وبعد ان تطرق الى وقائع الدعوى الاولى قال متسائلا :

« ألم تنشر هذه المقطوعات المحرمة عام ١٨٥٥ في مجلة العالمين وان احتاط لها الناشر بشيء من الكلم الملطف لوقعها في نفس القارىء ، معتذرا منه سلفا بأنه ، ان كان يرى فيها بعض الشتائم اللفظية فان هذا الاثر الفني المبتكر يعد انفجارا صارخا ومشدها » لآلام الروح التي يجب التعرف اليها • لان هذه الآلام أصبحت لامحة العصر • »

وعقب النائب العام على هذا المبرر فقال :

« لقد هدف بودلير من شعره الى ابراز حقارات الجنس البشري عارية من كل تنميق أو تزويق • لانه أراد ، بلغة الاحاسيس المرنة الوجيعة ، وهو الصناع الماهر في هذه الاداة ، احتضان الرذائل والجمالات معا (سماء أو نار •• لا فرق عنده) مبقيا على الشائه والقبيح منها دون ما طلاء أو ستار ، أراد بهذه الطريقة أن يهدي لكل قارىء رسالة يقرأها فيلذها وان تقزز • وابتغاء لاثارة المتعة في احساس القارىء لم تكن تخيفه الكلمة أو يستحي من اللفظ •• »

« ان محاكمة بودلير كانت نوعا من حماية النظام القائم المتأثر بالاخلاق البورجوازية • »

« واستعير لسان بودلير لاخاطبكم »

يا سادة :

« أو تريدون محاكمتي من أجل أبيات أو أشعار قلتها ؟ لا تحاكموني ان شئتم على كامل قصائدي وأشعاري • لانني لا أقبل النظر الى واجهة البناء فقط • بل انظروا الى ما في داخله • انظروا الى الفكر والعظة الاخلاقية الشعورية التي تزينه وتفترش اجناءه •

« تأخذوني من أجل هنات أو قطعة خليعة ؟ ما أظلم هذه النظرة التي تحجب عنكم الامثولة المفجعة التي ابتغيها من أشعاري ! »

وعرج السيد دوبوتيش على مرافعة زميله يومذاك المدعي العام السيد بينار قائلا :

« ان السيد بينار نفسه تخلى ضمنا عن تهمة انتهاك الآداب الدينية المسندة لبودلير ، مكتفيا بطلب ملاحقته بتهمة انتهاك الاخلاق الحميدة سيرا مع منطوق واحكام قانوني عامي ١٨١٩ و ١٨٢٢ المرعية الاجراء يومذاك • وبهذا الوصف المرتكز الى هذين القانونين ، لفظت محكمة ١٨٥٧ حكمها على بودلير ، قاضية بنزع وترقين القصائد الست من كل طبعة أو نشرة تظهر فيما بعد • »

ومع ذلك لم يتأذى شعر بودلير كثيرا من هذا الحذف لكثرة ما ازدان ديوانه الشعري « بشهوات الثمر المحرم » على حد تعبير السيد دوبوتيش الذي عاد يقول :

« لم يكن بودلير يا سادتي القضاة ، صاحب مذهب فني قاعدي • بل انه فنان نابغة جعل من الفن كدهووكده لا مستعينا بغير أحلامه ورؤآه تلك الرؤى والاحلام التي كانت تضرمها في جوارحه وأعصابه ، قوي خفية يستهدي بها في الخلق والابداع • »

« لقد التزم بودلير وتعهد بأن يكون شعره حياته بالذات وبكل ما في الحياة من حقارات بشرته • واتخذ دينا شعريا ومذهبيا له ، الجسم البشري ناهلا منه ، غير معل : الجمال الانثوي والسكر والرذيلةوالافيونوأخيرا

الحلم الخدير ليخلص يائسا ن كل هذا ، الى الالم النبيل أو الى خدر الموت الحلو . فهل نرى في هذا ، جريمة ما ، بحق الآداب الفاضلة ارتكبت بطريق الكتاب ؟ »

بودلير الشاعر الرجيم :

قيل ما قيل في سواغية قرار تبرئة بودلير بعد الموت . واذا كنا نقلنا القرار بحرفيته ، فلكي لا ننقل النقد القانوني للتشريع الذي اقترع قاعدة اعادة الاعتبار للادباء المحكوم عليهم بسبب تآليفهم . ولا ان ننقد طريقة الاستثبات العجول التي اتبعتها محكمة التميز تطبيقا لاحكام قانون ٢٥-٩-١٩٤٦ . لان هذه المحكمة أرادت أن تسلك - على غير عادة القضاء - الطريق الاخصر فأصدرت حكم التبرئة بعد الموت وهي مطمئنة راضية بأن الرأي العام الادبي المحلي والعالمي ينتظر مثل هذا القرار ويهللان له فأرادت أن تحاكم كتابا لا رجلا .

وما يهمنا من هذا القرار الا الرجل الشاعر الذي استحق لقب « الشاعر الرجيم » بسبب شذوذه عن مألوف أذواق العصر وشهواته . ولانه رجم مقدسات الطهارة التي تواضع عليها بنو عصره . فرجموه بكل سوء وقالة حتى اقتادوه أخيرا الى المحكمة لتقتص منه ومن شعره ، استرضاء « المقدسات الطهارة » فكان الشاعر الرجيم بكل معنى الكلمة ومفهومها .

بودلير ، اسم سيظل طاغيا في دنيا الشعر والادب ما قيل شعر وما دون أدب . ومن يتتبع هذا الشاعر ، يشده من حدة ذكائه وأصالة أخيلته ودقة أحاسيسه . ولئن انتهج الوعاظ سبيل الاخلاق والمواضعات الاجتماعية المألوفة للتزهيد بالدنيا الفانية على أنها متاع الغرور . وعلى أن يصفوا الشهوات والملذات بصورة يتقزز منها الموعوظ وهي التي تجري في دمه وعروقه ، فان بودلير بما رزق من حس مستوفز دائم الوجيب ، فجر عن هذه الطريقة ايما فجور ، باتباع طريقة الادب الوجودي العاري ولكنه الرمزي الفكري ، بأن وصف الشهوات حية فائرة . وأن العب منها لا بد موصل لليأس منها والزهد بها . كلاهما : الواعظ والشاعر يحتقر الحياة الدنيا ويزدريها ويدعو الى التقزز منها . ولكن الحياة أقوى من الزهد وأقوى من الموت وأقوى من الواعظ والشاعر معا . وكل لذة مهما زكت أو طابت ، زائلة ذاهبة الى نفاذ . واذا لا بد من نشدان الحياة بالعل من عمرها القصير ولذائذها العابرة . ولئن انشد عمر الخيام ذات يوم :

ما أضيع اليوم الذي مر بي
من غير أن أهوى وأن أعشقا

فان بودلير قد انشد اللعنات الصاخبة على اللذة ومصدرها الجسد البشري الذي أبرزه لنا في قصيدته « الجيفة » بصورة تتقزز منها النفس ويألم بها الفكر . هذه الجيفة هي التي يغب منها الانسان لذائذه المسئمة ومتعه الشهوية . فلنزدر العمر والانسان لحقارتهما . ولئن أسلم بودلير قياد نفسه للآلام والشر الذي لم يكن يصيب به غير ذاته ، فان شعره ينم عن ولوع ضريم في حياة أخروية يودها لا نهائية يبرأ بها من الضر والالم . قال عن نفسه ذات مرة : « سأظل دائما وربما الى الابد كذئب وقع في كمين ، أثب الى قمة المثل العليا .. » بهذه الفلسفة العميقة المتخايلة من وراء « أزهار الشر » كان بودلير مرشد الاذواق المترفة محذرا من الاسترسال في الغواية ، متمردا على كل قاعدة وقيد ، لانه تألم أكثر من أي انسان ، فعاش شعره بالقول والعمل عابرا على شريط الحياة عبور قصير الرؤى .

كان بودلير ، بالجرس الشجي ، يغني هجساته الخفية ويجس في ذاته جرسا للعطور المثيرة . فأوجد بين العطور والالوان والاصوات صلات أليفة .

كان « باريسيا » بكل ما في هذا النعت من معنى ومفهوم . فقد شغفته باريس بلياليها الفاحمة ونهاراتها الماطرة أو الغائمة .

شغفته باريس بكتلها البشرية تتحوى في أحنائها أو

تقبع في أطوائها . انه أحب وهام بالشخوص والاشياء « التي أرمضتها الحياة أو قصمها الكدح في سبيل العيش تتجرجر نحو فنائها . » فغروب باريس وسماواتها البليلة الدكناء أو المسحة ، وجسوم فتياتها النحيلة . وعجائز باريس ومتسولوها كلها شخوص وأشياء أحبها بودلير حبا جما واستودعها شعره وعاطفاته . هذه هي مصادر الالهام في شعر بودلير ، استوحاها كل احساس وخاطرة . فكان لـه قصب السبق في أن أتحف الشعر الفرنسي بانغام وجيعة وزوده « بقشعريرة جديدة » لم تؤلف فيه من قبل . نفائس تستحق كل عناية واعجاب ومحبة .

ولكن بودلير غالى - والغلو ليس من الاخلاق القننة - في وصف العري النقي وصب جام غضبه على أولئك اللذين نعوا عليه فجوره وان كانوا في الواقع أشد فسقا منه ذون ما فصاحة لسان . ألم يقل في هجاء هذه الفئة « الفريسية » التي تتصايح على المجرم والجريمة أقامت في نفوسها وعششت في أفئدتها ألم يقل :

« يا لآثامنا العنيدة المكابرة ونداماتنا الجبانة ! »

ان ديوان « أزهار الشر » ليس أثرا تعبيريا بقدر ما هو أثر تصويري فوتوغرافي ندت به حدقة متوهجة ثاقبة ، تطلبت الجمال والمتعة في الحقير والرائع من الاشياء والمشاهد . فجمال قصيدة « الجيفة » لا يختلف عن جمال قصيدة « شاربة الدماء » . قصيدة ضمنها أهول مقال في المرأة ، هذا اللغز الذي عيي بودلير ، طوال حياته ، عن فك مغالقه ، فقضى نحبه في سغب منه ومتربة .

ما أشبه شعر بودلير بتلك المجموعات الفوتوغرافية التي يلتقطها مصورو الفجاءة في المدن والارياف في القبور وعلى موائد التشريح الطبي . وما كان اتهامه بالشاعرية المخربة الا لانه أراد تحقيق الجمال الحسي المادي من أي طريق مر أو أي منحني عبر . وصف مهمته الفنية قائلا :

« الحرب ضد مفاسد الانسان وحقاراته . واللعنة على كل جبن أو خجل أقام في أذهاننا أو عشش في جسومنا . » معتزا بأنه :

« أنتج كتابا تفوح منه أحاسيس الكره والتقزز من الشر . وظل طوال حياته سادرا في غوايته غير عابث بالقيم الاخلاقية فكانت حياته على حد تعبير « سارتر » عبارة عن « تفسخ بطيء جدا أليم كثيرا . » .

وقال جيد : « ثلاثة مفاتيح لا بد منها لحياكة الاثر الفني هي الشهوات الثلاث التي عناها القديس : شهوة العين وشهوة اللحم وغرور الحياة . فلا تطلب الفنان بين كتائب القديسين ولا القديس بين رعيل الفنانين . »

وقال فيه تيوفيل غوتيه وقد أهداه أزهاره المريضة :

« لم يكن فكر بودلير يتضمن الفاظا أو خطوطا . بل كان يرى الاشياء من زاوية خاصة تخرب خطوطها كما لو كنا ننظر اليها من أعلى أو أسفل ونحن على جناح طائر في الهواء . كانت باصرته المسعورة تلتقط النسب التي لا تتكشف لاي انسان . وهنا مصدر الغرابة المتناسقة المنطقية التي تصادفنا في شعر بودلير . »

مسكين بودلير !

عاش فنه وشعره بائسا طريدا لمجتمع ظالم بغير ارادة بل بالعادة . فاستمتع بفنه وشعره قوم لم يؤمنوا بالرجل وآمنوا بالاثر . واذا ما بدا لهم الجمال وبهرهم بتهاويله ، فجروا فيه صامتين وانكروا على الشاعر فسق الجارحة وصراحة اللسان .

ماتت روح بودلير قنوطا وزهدا قبل ان تفيض الى بارئها . فكتب مرة ينعي نفسه :

« اعرضوا مثالي المخيف وانظروا كيف يؤدي تشوش الروح والحياة الى القنوط الاسود والانهيار الشامل . »

رحمك الله بودلير وغفر لك !

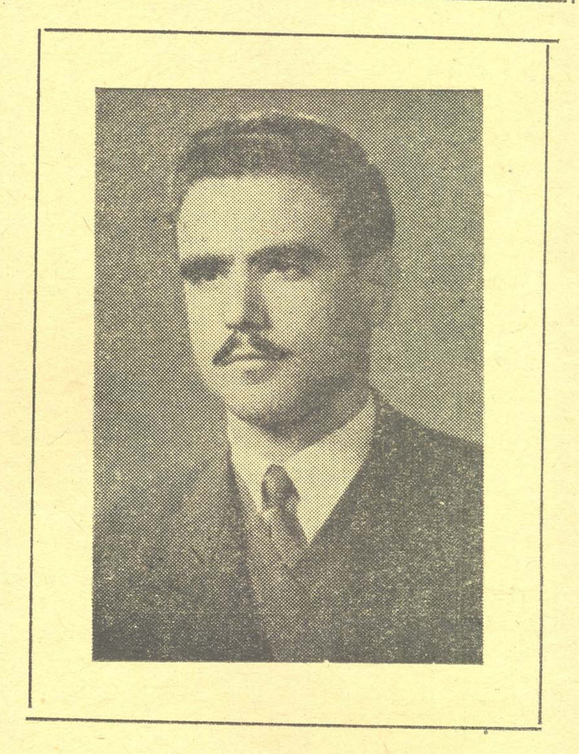
كنت عبقريا رحيما بالناس الذين لم يرحموك في حياتك . فعسى ان تقر روحك اليائسة الحزينة بهذا الحكم الذي أعاد اليك الاعتبار بعد الممات وشرف ذكراك بعد مئة عام لم تنقطع البشرية عن ترديد أنغامك الوجيعة ونحباتك المريرة على هذا الشيء الفاني الذي أردته لا نهائيا أزليا : الحياة !

اللاذقية - أحمد المحمود

رسائل رمادية ...

قصة بقلم : يوسف الحاج

الاهداء : « الى المعذبة ..
س .. التي لم يرفعها الحب الى مستوى التضحية .. والى عاصم الذي أضحى مشردا على وجه الارض ... »



مساء ٢٠-١٠-١٩٥؟

عزيزتي سوسن ..

اليوم وصلت الى مركز عملي الجديد بعد سفر متواصل دام ثلاثة أيام . كان طيفك الحبيب يرافقني في أول رحلة اغتراب أقوم بها في سبيل بناء المستقبل – مستقبلنا معا – . وانني جد متفائل بنوعية العمل الموكل الي .

وأول عمل قمت به ، هو رفع علم بلادي في سماء هذه القرية العربية القريبة من الحدود الاجنبية ، وتحت ظل هذا العلم المقدس سألقن صغاري الحروف العربية ، وسأعلمهم في هذه البقعة النائية في أقصى الشمال ، الى أين تمتد حدود وطنهم الغالي . انها لمهمة شاقة ياعزيزتي لانهم لا يستطيعون تكلم لغتنا ، ولكن من اختار هذه المهنة كرسالة نبي لا تهمه العقبات ، ولا تقهره الصعوبات . أكتب اليك الآن بعد أن رتبت حوائجي في هذه الغرفة المخصصة لي والتي تطل نوافذها على نهر ينساب ببطء وسط سهل أجرد . انني حتى هذه اللحظة أشعر بارتباطي بمدينتي التي تبعد مئات الكيلو مترات . ولا تزال كلماتك العذبة ترن في مسمعي ، تحمل الي الفرح الممزوج بالحزن .. وصورتك المستقرة على المنضدة التي أكتب عليها ، تزودني بالعزيمة للمضي في بناء مستقبلنا .

لقد كانت الرحلة مضنية لولا تلك المناظر البديعة التي تخللتها طوال السفر . وأجمل ما فيها تلك الصحاري بنجومها المتقدة في قلب الليل الهادىء .. وذلك الوضوح الذي يتميز به نهر المجرة في ليل الصحراء .. وكثيرا ما راودني الاحساس بأنني سأصبح شاعرا ، فالانسان في الصحراء يكون قريبا من الطبيعة والفطرة والبدائية .. ليت احساسي يتحقق فأقطف لك من كروم الشعر أحلى العناقيد المذهبة ، وأصوغ لك من ألق النجوم عقدا لجيدك المخملي .. لكن ان فاتني كل ذلك ولم يكن لدي شيء أهديه اليك ، فسأحمل اليك في يوم من الايام قلبي الكبير لاودعه حناياك الراعشة الخصبة ، لانني أخاف من أن يتحطم في يوم عاصف على صخور مرفأ ضائع وراء الضباب . وتذكري اذا كان الانسان فقيرا

فلا أجمل من أن يهدي قلبه المليء بالمحبة .. انني أشعر الآن بدوامة من الاعياء . معدتي فارغة تماما وأحس بجوع شديد .. صورتك الحبيبة تؤكد لي بأنني جائع للفرح ..! منتصف الليل يقترب ، وأنا أقترب من هاوية النعاس . غدا سأرسل اليك هذه الرسالة .. وداعا .. واسلمي لي نجمة تهدي شراعي في طريق عودته الى مرفأ الصحو ..

« عاصم »

* * *

٢٧-١٠-١٩٥٩

عزيزي عاصم ..

آه لو تدري مدى الفراغ الذي أحدثه سفرك .. أسبوع تقضى لا لون له . وقد أكبرت فيك هذه العاطفة التي حدت بك لان تمر بالبيت يوم سفرك لتودعني .. وأنا أعلم كثرة الصعوبات التي تحول دون ذلك . ليتك لم تمر فأنا أكره مواقف الوداع لانها تذكرني بالموت .. أنا لم أشك بأن أول رسالة ستكتبها هي الي .. فقد أطلعت بعد سفرك على حمى الجو الذي كنت تعيش فيه وأنت تتأهب للسفر . أرجوك أن تبتعد عن الصمت المطلق لانه يؤدي الى الحزن ، والاحزان المستمرة تدمر النفس ، وتخمد الجذوة المتقدة في الاعماق .. أنا لم أختر لك هذه المهنة عبثا ، فليس ثمة أجمل من أن يعلم الانسان الآخرين ويفني شبابه في محراب المعرفة.. ألم يقولوا للناصري : « يامعلم » ان لوقع هذه الكلمة في نفسي سحرا يفوق كل وصف .. انني أطالع تلك الكتب التي أهديتني اياها بمناسبة نجاحك ، وأنا معجبة جدا بـ « آلام فرتر » ولكن النهاية أحزنتني كثيرا ولم ترق لي . أحب من الادب الذي يحمل الي النهايات السعيدة والفرحة الكاملة .. يكفينا ما في حياتنا اليومية من مآسي وأحزان صفراء .. اليوم فتحت المدرسة أبوابها وعدت الى صغاري الذين استقبلوني بزقزقات العصافير وهي تستقبل أمهاتها . الليل الذي كنا نتسامر في ساعاته القصيرة تحت شجرة الزيتون ، أضحى المعبد الوحيد الذي أرفع في أمدائه صلواتي كلها من أجلك ياصديقي البعيد .. وأستعيد وسط رفيف أوراقه وهمس نجومه المسمرة على صليب العذاب ، أحاديثك عن رامبو وبودلير .. وأتلو على مسامع الليل ذات القصائد التي وضعت حول عناوينها اشارة من قلمك . وأنا أبتدع هذه الوسيلة للقاء بك بين أحضان هذا الليل الكبير .. ثم هناك قصة « الباب الضيق » قرأتها بشغف وقد أرعبني هذا التحول في طبيعة « أليسا » . ولكني لا أخفي عليك مقدار التعاطف الوجداني الذي شعرت بـه نحوها .. ولقد ذرفت نهرا من الدموع وأنا أقرأ مذكراتها .. ربما تتساءل عن مدى ادماني للمطالعة ، فأجيبك بأنها خير سلوة لي على بعادك .. انها العالم الوحيد الخاص الذي الجأ اليـه للتخلص من تفاهات الحياة اليومية .. وستساعدني على تخفيف آلام الفراق ، وقد تحتم علي منذ اليوم أن أختار الكتب التي سأطالعها . ولكن ثق بأنني لن أختارها بدون مشورتك ، فأنت ـ وهذا اعتراف جديد ـ تعرف أي الكتب يجب أن تقرأ . لقد عكفت منذ أسبوع على تدوين مذكراتي وسأسعى جهدي كي لا تكون تافهة .. ان التفاهة هي الموت ..! عثرت منذ يومين على كتاب أشعار لـ « ادغار آلن بو » يرجع تاريخ اهدائه الى خمس سنين خلت ، بدء تاريخ حبنا الـذي سنرعاه كطفل صغير لنا .. الفجر يقترب . أشعر بمزيد من الرغبة بمواصلة الكتابة لاجعل من رسالتي سفرا من الاسفار ولحنا من نشيد الانشاد .. بعد قليل ستستيقظ أمي وأخاف أن ترى الضوء يشع من غرفتي .. استودعك المحبة .. لك كل حبي .. وداعا ..

« سوسن »

* * *

ليلة ٢٥-١٢-١٩٥٩

حبيبتي سوسن ..

اسمحي لي أن أتجاسر وأناديك بهـذا الاسم الحبيب المقدس .. أنا لم أستطع قول ذلك لولا اقترابي

من الله في هذه الليلة بالذات .. ليلة الميلاد التي حملتني الى ذروة الالم حتى تساقطت الدموع من عيني على الوريقات البيضاء التي سأجعل من سطورها أروع احتفال في فراغي الكبير الذي يدمرني ، وملاذا من الانحدار..!

ها أنا سجين بين هذه الجدران الاربعة كشبح هارب من الزمن المحدود بالمكان .. في مثل هذه الساعة من كل عام ، كنا نهرع سوية الى الكنيسة لنصلي من أجل البشرية التي نحن جزء منها ، ونبتهل معا الى المخلص الطفل ليرعى حبنا لانه اله المحبة والخير والفداء .. في هذه الليلة أشعر باقترابي من الله في عليائه ذات الانجم التي تتطهر في هذه اللحظة من كل الآثام وفي طليعتها تلك النجمة الكبيرة التي قادت المجوس الى بيت لحم ليقدموا الهدايا للطفل الراقد في المزود في مغارة الراعي .. ان الذي خلق البرايا تواضع ليولد في مغارة فقيرة ليعلمنا التواضع ويقهر فينا الكبرياء اللعينة .. أصوات الملائكة تنثال من جوف المذياع ترتل ترانيم الميلادلصاحب الميلاد .. ومنها أرفع اليك هدية الميلاد يا يمامتي الصغيرة ، ياعرس الطهارة الفائقة التي لم أتجاسر حتى الآن على تدنيسها بقبلة صغيرة تمسح التعب عن الشفاه المعذبة ..

انني وحيد الآن كالناصري في البستان .. جميع الاطياف تنام مرتاحة وقد هدها السهر ، كما نام الحواريون الذين رافقوه في تلك الليلة ولم يصمدوا للتجربة - يجب على الانسان أن يكون الها حتى يصمد للتجارب - وكما رفع الناصري صلاته الى الاب السماوي ، أرفع اليك هذه العذابات التي تكويني في ديار الغربة المقيتة . ان صوت الارغن يستنزف مزيدا من الدموع من عيني الجافتين كنبعة في الصحراء .. الصحراء رمز العذاب والعقم واللاجدوى .. انها قمة سيزيف وصخرته .. فلا تجعليني في صحرائي الاقي مصيري وحيدا .. انني شديد التوقع للموت .. انه يدعوني الى مأدبته الابدية..

وهذا نتيجة استسلامي للصمت المطلق خلال عدة شهور .. انني أشعر بتأنيب الضمير تجاهك لانك طلبت مني ألا أستسلم للصمت القاتل في طريق الاحزان ..

سوسن .. يا ملاكي الحارس في هذا الليل الغريب كالابدية الزرقاء .. كالبحر الهائج الفاتح أشداقه ليبتلعني ويطبق علي أنيابه الوحشية .. ويحيلني الى نسغ جديد .. انني أدخن كثيرا هذه الليلة .. وها أنا أعترف لك بأنني أصبحت أدخن وأشرب قليلا لاغسل على شواطىء الكأس جراح صدري أصب في الكأس أحزاني وأترعها .. فيغشاني ضباب من الوحشة السوداء .. ففراقك مر ووحدتي قاتلة .. وغدي بدونك لا يعرف الصحو .. بدون هديك لا أستطيع تسلق جبال الفراق الموشحة بالضباب .. بدونك لا أعرف لون الغد ومعناه وعطاياه الثرة .. انني أكاد أقترب من هاوية الهرف ، ولا أبالغ ان اعترفت بأن سعادتنا واحدة ، ومواسمنا لنا وحدنا . قلبي الآن يمضي نحو غربته على عربة الصمت والذكريات الحلوة المغلفة بالمرارة .. كان يجب أن أكتب اليك أشياء مفرحة ، فهل تغفرين لي ان تعذبت لوحدي ولم أشركك في عذاباتي التي تتركز بشدة في ليلة الميلاد .. أغفري لي نسياني طوال هذه المدة .. وصلي من أجل من يمشون في الظلام .. صلي من أجلي لاخرج من غابة الشوك قبل أن يقطفوا منه التاج ليضعوه على هامة ملك الملوك .. صلي من أجل الذين يسيرون وسط ضجيج الآلة وراء الحلم ، ووراء الزمن .. وانزعي من صدورهم ضغينة الشك .. صلي من أجل جميع المعذبين على الارض - كل الارض - لانني واحد من القطيع الكبير .. سأقتلع قلبي وأرسله اليك في صبيحة الميلاد ، فازرعيه تحت أقدام شجرة الزيتون المباركة . وداعا .. لك كل حبي ..

« عاصم »

* * *

ليلة ١-١-١٩٥؟

حبيبي عاصم

منذ أسبوع وأنا طريحة الفراش في غرفة بيضاء في أحد المستشفيات . لقد حملت الي والدتي رسالتك الاخيرة ، التي أضفت فيها عذابات جديدة الى عذاباتي .. لا بأس ! فالالم يطهر النفوس ويجعلها قريبة من الله .. بل ومتحدة فيه أحيانا .. طلبت ورقة وقلما من الممرضة التي تعنى بي وهي شابة جميلة معذبة لاكتب اليك هذه الرسالة من على سرير المرض .. ولقد أصرت أن أملي عليها كلمات هذه الرسالة الرمادية ، فلا تستغرب ان كان هذا الخط أجمل من خطي - اني ألاحظ ذلك - فالوجه الجميل يعكس على المرآة البيضاء خطا جميلا .

أواه يا عاصم .. ان الآلام التي أتحملها من أجلك فوق ما يستطيع جسم كجسمي أن يتحملها .. انني أسأل الله تعالى هل خلقنا لنتعذب فقط .. زارني صباح هذا اليوم وفد من الصغار ، وحملوا الي طاقة من الزهر النادر الوجود في مثل هذا الفصل .. ان الصغار ملائكة أطهار لا نعرف ماذا يخبىء لهم المستقبل في ثناياه .. أتذكر طفولتنا .. يا ليتها امتدت الى نهاية الابد .. ليلة الميلاد أجريت لي عملية ولا شك بأن الآلام قد انتقلت على مرايا الغيب الى أجواء غرفتك في تلك الليلة بالذات لتملي عليك رسالتك الطافحة بالمرارة كالاسفنجة التي رفعت على رأس رمح لترطب شفاه المصلوب على الجلجلة .. عشية الفداء ..

أنا لا أشك بأن لك بصيرة تخترق الابعاد وتطل على عالمي البعيد عنك .. بعد غد سأغادر المستشفى الى البيت ولن يسمح لي بمتابعة العمل حتى أوائل الربيع حيث القاك في العطلة المرتقبة .. سأصبر يا منتهى سعادتي حتى يطل اليوم الذي ألقى فيه وجهك الحبيب.. فيتبدد الالم كما تتبدد الشموع أمام النار .. انها ليلة رأس السنة الجديدة .. ملايين من الناس .. شباب وشابات يرفعون الكؤوس الى الشفاة في هذه اللحظة - منتصف الليل - يودعون مع ثمالة أقداحهم عاما طواه الزمن ، ويستقبلون عاما لما يزل في ضمير الغيب كلؤلؤة في مجاهيل البحار .. بينما نحن نشقى كل في غربته .. أواه يا عاصم .. ليتك بقربي الآن ليت يمينك تمتد الى جبيني لتمسح عنه غبار الالم ، وتعيد اليه نضارته كما كانت قبل فراقك .. أحن اليك حنين العطاش الى النبعة الباردة .. وطيفك العنيد يأبى التجول في فضاء غرفتي . انني ضعيفة التركيز وهذا ناشىء عن المرض .. لن أغفر لك اهمالك الكتابة الي طوال هذه المدة ولا أعلم أي شاغل شغلك عني .. اكتب لي ما شئت فكل حرف من لدنك مقدس .. وداعا يا شراعي الابيض .. لك قلبي ..

« سوسن »

* * *

مساء ١٠-١-١٩٥؟

حبيبتي سوسن ..

استلمت رسالتك منذ أسبوع .. وكثيرا ما فكرت بضرورة الرد عليها بسرعة .. الضياع يهصرني على مفترق الطرق .. المصادفات المرة تضافرت مع بعضها لتخنق آمالنا وتسحق شبابنا وتذروها كحبات الرمال على الشاطىء المهجور .. اني أستجمع قواي لاخبرك بأنه في صباح وصول رسالتك ، وردتني برقية تدعوني لتأدية خدمة العلم ، أو لدفع البدل النقدي ولما كنت لا أملك حتى عشر المبلغ سأضطر الى حزم أمتعتي يوم غد وسأتوجه الى مدينتي لالتحق فورا بمركز التجنيد حيث أساق الى مركز التدريب ليخلقوا مني جنديا يعرف كيف يدافع عن وطنه في ميدان آخر من ميادين المعرفة العسكرية .. ان هذه المرحلة ستكون نقطة التحول في حياتي .. ستكون ذروة النضج الاخلاقي وبداية فهم المسؤولية والواجب وتقبل التضحية على مذبح الوطن وتربته الحبيبة التي ستروى دائما وأبدا من دماء الشهداء على مر العصور .. وحتى نغسل شواطىء يافا مدينة

الليمون من رجس الغاصبين .. ستكون لنا فرص كثيرة نلتقي فيها في مرفأ الاشواق المتأججة .. ان حبنا أقوى من الموت ..! انه سيظل بداية بدون نهاية ..! سأصل المدينة في صباح الخامس عشر ، فانتظريني على رصيف المحطة . أحب أن أرى وجهك قبل كل الوجوه .. ضعي على رأسك شالك البنفسجي فانه المنارة التي ستهديني اليك في بحر المستقبلين .. لك كل حبي ..

وداعا .. والى اللقاء على رصيف المحطة ..

« عاصم »

* * *

ظهر ١٢-١-١٩٥٩

برقية .. ولدي الحبيب عاصم ..

لقد فارق أخوك « سعد » الحياة صباح هذا اليوم على اثر نوبة حادة . استقل أول طائرة . سيبقى جثمانه حتى تصل . تشجع . تقبل مشيئة الله بصبر وجلد .

« والدتك الثكلى »

* * *

٣١-١-١٩٥٩

حبيبتي سوسن ..

كنت أعلم بأنني لن ألقى أحدا في المطار..فالجميع سيكونون متحلقين حول الزهرة التي ذوت في ربيعها التاسع عشر .. دخلت البيت في ذلك الصباح الاصفر كقائد خارج من معركة خاسرة .. كانت عيناي تحصدان الموت على الدرب الطويل الممتد الى شاطىء الابدية الرهيب .. ولقد ميزت من بين جميع الاكاليل ذلك الذي ضفرته أناملك الحبيبة تحت سماء لا نجوم لها .. جميع الوجوه كانت متوترة بشكل حاد ، يصفدها الزمن الآني بقيد الموت .. مملوءة بالاوهام والمعاني الفارغة .. تتورم فيها رؤيا التحول .. الرياح الباردة تعصف بالبشر كالاوراق الممزقة . « تلك الرياح التي تهب قبل الزمان وبعده » كما يقول « اليوت » .

تأملي معي هذا المقطع من قصيدة الليل .. في مدينة الليل المفزعة لـ جيمس تومسن : « لان الحياة ليست غير حلم ، تعود بعض صوره في أغلب الاحيان ، وبعضها نادرا ما تعود . في حين تعود بعضها ليلا .. وندرك في الوقت الذي يتغير فيه بعضها ، ويختفي البعض الآخر بتكرر حدوثه مع التغيرات متكررة الحدوث .. ندرك نوعا من النظام الحقيقي وعند ذلك نعتبر الاشياء حقيقية ، وكذلك الامر مع الذاكرة .. » .

كم أتمنى يا حبيبتي أن أموت ، أن أكف عن الحياة عند منتصف الليل ، بدون ألم .. حاملا معي الى القبر كل آلام البشرية ، طالما أن الحياة ليست غير حلم قصير .. التعب الجسدي الذي يرافق التدريب اليومي لا يدع لي مجالا للتفكير أكثر مما يجب . وها أنا أفقد تدريجيا قوة التركيز على الاشياء .. لن ألقاك حتى تنقضي ثلاثة أشهر .. ولكني أسائل نفسي ما جدوى العودة الى وادي الاحزان الذي ترفرف في سمائه الصغيرة آلاف الرايات السوداء . انني أشعر بجسدي يلتهب ، وأخشى أن تتغلغل أفعى الحمى ، وتنفث سمومها في طيات جسدي الضعيف .. وداعا يا سوسنتي .. صلي طويلا من أجل النسيان للنسيان ..

« عاصم »

* * *

صباح ١٥-٢-١٩٥٩

حبيبي عاصم ..

ما أنا الا حارس ليلي هرم ، يحدث حجارة الشارع .. شقوق الجدران الهرمة بطرف عصاه ، حديث النقمة والضلال المخنوق .. حديث الذواء والذبول والانتهاء .. أجل يا حبيبي الطيب المسماح .. من خلال الجليد الذي يكفن عالمي المشلول ، تتمطى أنفاس روحي البؤس ، لتلف بأذرعها المرهقة قلبك الذي يصخب ويرعد على الدوام .. حبيبي : شاء لنا القدر أن نلتقي على طريق الشباب المثقل بالرياحين ، فلنفترق الآن ، بعد أن تمشى المشيب في الخصل المذهبة التي تحلي جبين روحي .. وهكذا .. ليس لنا أن نحلم بتلك الحرارة التي كنا نقدمها لبعضنا ولمن نلتقيهم من

أبناء التشرد .. أبناء عوالم الحنين الجاف الضائع مع الاثير المسافر الى الابدية السادرة .. ومع ذلك فما زال باستطاعة هذا الشيخ المجهد .. هذا الحارس المتهافت على رصيف الحياة والزمن .. هذا الذي يحرس السراب ، يزرع الاحلام ، ويحصد الصحراء .. يعشق الليل أخيرا .. قلبي هذا الشؤم ، هذه البومة الضالة . ما زال باستطاعته أن يحب كما أحب قديما وكما سيحب بأشراق وألق قاتمين .. فهل ستكونين تلك الزهرة السوداء في مزهريتي المحطمة ؟. من يدري ..؟ على أية حال .. أنا خاوية ككأسك السحري .. متعبة كبقايا خناياك .. ممزقة كشتيت حلمك . فان وجدت لدي ما يستحق الاهتمام ، فسنلتقي من جديد بعد تحول الزمن .. وان لم .. فلن أنسى مطلقا ذلك الراهب الاسود المهمل في أبرشيته المخربة ، والذي لقيته يوما على حدود قرية جافة .. وكان أنت ..!

حبيبي عاصم ..

أنا لم أكتب لك هذه الاسطر عبثا .. انني أكتبها بينما والدتي تعد الحوائج لسفرة طويلة .. لا تستغرب، فقد قرر الاطباء ارسالي الى احدى المصحات بعد أن اكتشفوا اصابتي بالداء اللعين . لا تحاول أن تحصل على عنواني ، ففي ذلك مزيد من العذاب والعناء ..

هذه آخر رسالة أكتبها اليك ، ولا أدري ما يخبىء لي المستقبل .. سأصطحب معي جميع الكتب التي أهديتني اياها ففيها رائحتك .. وفيك ملامح بعض أبطالها .. وذلك الشال البنفسجي سأضعه تحت رأسي- كما وضع شوبان بحفنة من تراب الوطن - ففيه صورتك الشفافة كالحلم . أذكرني دائما في ليالي عذاباتك الراعفة .. في هذيانك المحموم .. في هرفك .. وعندما يعصف بك الجنون في ليالي الفقد والحرمان والسهد ، لانني سأظل مخلصة لذكراك .. يا مجد الحب الاول ..!

فنحن حلم توارى قبل أن يولد .. ونجم هوى قبل أن يسطع .. وقبلة ماتت على الشفاه الصفراء الحزينة ..

نحن المساكين نغامر كثيرا اذا جرؤنا على الحلم في غفلة من القدر ..

وداعا .. وداعا .. قالتها « أليا » ل « جيروم » وتقولها سوسن لعاصم الرابض على الحدود .. لك قلبي الذي يحترق ببطء ..

« حاشية : سأترك لك دفتر مذكراتي .. »

حبيبتك : « سوسن »

حمص - يوسف الحاج

جهد

وأجهدت نفسي كي أكون متيما
بها علني أبدو لها صادق الحب

عني انها بي ان تهيم وشأنها
هيام بمن يهوى ، فالقى منى قلبي

ولكنها كانت خبيرة في الهوى
فباتت على علم بما يبتغي قربي

الحسكة - خليل النعيمي

النملة

شعر : الصافي النجفي

أرى في خواني نملة تطلب الغذا … فاتركها كالضيف تأكل ما تهوى

أأطردها ، ضيفا ، خفيف مؤونة … صغيرة حجم لا تكلفني مأوى

وليس لها قصد بجسمي ولا دمي … غنية نفس ، من سوى الكد لا تحيى

فليست بمكسال ولا هي عالة … تكد لتحيا ، لا تكل عن المسعى

الى قوتها تسعى وتشقى لغيرها … فتلقي دروسا بالتعاون لا تنسى

معلمتي والاجر حبة سكر … وفضل طعام ليس لي فيه من جدوى

تنظف لي أرض الخوان بدقة … وتذهب ، ضيفا ما أخف وما أحلى

نظيفة جسم ، بل نظيفة مأكل … تكاد لفقد الصوت في سيرها تخفى

وليست ذبابا مزعجا بطنينه … له قذر في الجسم والاكل والمرأى

تنزهها في السعي للرزق والعنا … ولذتها في فعل واجبها الاسمى

وما همها في اللهو او في بطالة … فليست تضيع الوقت في تافه الاشيا

فليت لنا منها زعيما وقائدا … يعلمنا كيف المعيشة في الدنيا

وليت لنا منها مدرس حكمة … لنأخذ علما من مدارسها العليا

تعلمنا حب النظام ، وفنه … وتمنحنا منها ، بتربية مثلى

لها همة ، في حمل أضعاف حجمها … فان لم تطق عادت له كرة أخرى

تجاذبه ، لا يدخل اليأس قلبها … ولا هي من اتعابها تشتكي البلوى

وقد تنتهي الآمال منا لخيبة … سوى النمل يبقى عنده الامل الاقوى

مغامرة ، لو عاقها الماء أصبحت … وأصحابها جسرا وأدركت البغيا

فمنهم رفاق واصلون ومنهم … على الماء قد طافت لهم جثث غرقى

كذا فليغامر مثلها كل ذي منى … ومن يطلب العلياء لم يطلب البقيا

همامة نفس لم تفاخر بنفسها … فأعمالها تنبي عن العزم لا الدعوى

تطوف في الدنيا وتأوي لبيتها ... فليست ببيت غيره طرفها اغفى
وليست كأنواع الهوام من الدجى ... قد اتخذت سترا لغايتها الدنيا
ولكنها مثل النهار صريحة ... لما وثقت من أن عيشتها فضلى
ويا نملة جاءت تقل جريحة ... من النمل هل تبغي الذهاب لمستشفى
فياليت اني اقتفيها لعلني ... أرى دار اسعاف لهم تسعف الجرحى
ولكن رمتها بعد حين كأنها ... رأتها ستغدو عن قريب من الموتى
فظلت تعاني النزع ارنو لها اسى ... الى أن قضت لم تبد من فمها شكوى
وكانت اذا مرت عليها لداتها ... تبادلها شما وتتركها حسرى
فكانت تشم الموت منها فتنثني ... وقد يئست منها ، لها مشية حيرى
عساهن لما عدن منها بحسرة ... يخبرن عن أحوالها ، أمها الثكلى
فلو انني داويتها لي ضيفة ... لكنت شفيت النفس من زفرة حرى
ولكنها ماتت لدي غريبة ... فوالهفي قد أصبحت جثة ترمى
رثى لي صحابي اذ رثيت لنملة ... وليس لها ذنب سوى انها صغرى
يقولون ! صغرى أحزنتك حقيرة ؟ ... ولا فرق صغرى كانت الروح أو كبرى
واحنو على الصغرى أشد من الكبرى ... فعطفي عليها كلما صغرت أسمى
ويا نملة فاقت حجانا بعقلها ... ولكن غرور الجهل ، فينا قد استعلى
تحدث اذ تلقى سواها بصمتها ... وتحكي بما شاءت ففي صمتها نجوى
تؤدي معانيها بدون تكلم ... ونحكي كلاما ، مستمرا بلا معنى
أتت فوق شعري ، وهي تمشي طروبة ... كأني بها شمت به وصفها الاوفى
تلته ، وقد مرت تشم حروفه ... فراحت به من فرط لذتها نشوى
فحسبي منها وحي شعر اخذته ... فجئت من الاشعار بالمثل الاعلى
فزدت لها رزقا ، لشكر صنيعها ... ببذلي لها صحنا من الحب والحلوى
أرى النمل مثل الطفل بالحلو مولعا ... فان خطفته نملة ركضت جذلى
لقد كرم النمل الاله بسورة ... وكان سليمان النبي بها أدرى
وقد قال (فردوسي) فارس بيته ... عن النمل حتى أصبح المثل الاسمى
ولكنني أعطيت كامل وصفه ... فأصبح عن أوصاف غيري قد استغنى
فان يع معناه • أتت كل نملة ... بحبتها لي ، وهي جائزتي العليا
فكان لدي الحب قمح وغيره ... حكى جبلي نعمان في الحجم أو رضوى

سياسة اسبانيا الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية

بقلم : الدكتور نادر العطار

كان لموقف اسبانيا خلال الحرب العالمية الثانية أثر حاسم في ترجيح كفة الحرب لصالح الحلفاء ، فقد حافظت على حيادها رغم كل المناورات والاتصالات التي حاولت اخراجها منه ، وزجها في ذلك الاتون الملتهب ، لما لموقعها الجغرافي من أهمية استراتيجية بالنسبة للبحر المتوسط والمحيط الاطلسي على السواء ، وذلك المنفذ الهام بين المحيطين : جبل طارق .

قاومت اسبانيا الضغط النازي في أوج عظمته دون أن تستثيره بشكل يدفعه الى مهاجمتها واحتلالها ، واضطرت في سبيل ذلك الى عقد اتفاقيات سرية واجراء مفاوضات على نطاق مختلف فحافظت على صداقته ، واستمرت على صلاتها التجارية مع الامريكتين ، فكانت البواخر تأتيها محملة بمختلف أنواع المؤن دون أن يتعرض لها أي من الفريقين بسوء ، حتى انتهت الازمة ، والقى الطرفان السلاح ، وتنفست شبه الجزيرة الايبرية الصعداء ، لان دخول الحرب كان سيكلفها غاليا بعد ان عانت من ويلات حرب أهلية ضروس استمرت ثلاث سنوات وانهت قبيل الحرب العالمية بقليل ، بعد ان جاوز عدد ضحاياها المليون .

وقد ظل أمر هذا الموقف الاسباني سريا غامضا ، حتى كشفت وثائق الحرب ونشرت ، فتبين للملأ الدور الذي لعبته هذه الدولة في سبيل المحافظة على كيانها ، بل وكشفت عن مدى النظرة التوسعية التي كان القادة هناك ينظرونها الى ما حولهم : حدودهم الشمالية مع فرنسا وحدودهم الجنوبية مع مراكش ، ومستعمراتهم في غينيا الخ .. وفيما يلي تفاصيل الدور البارع الذي قام به سياسيو الاسبان خلال الحرب .

* * *

اعتبرت الحرب الاهلية الاسبانية ، بعد سقوط برشلونة قبيل الحرب العالمية في حكم المنتهية ، وبدأ العالم ينظر الى الجنرال فرنكو قائد الجيوش الوطنية ، نظرته الى الظافر المنتصر ، الامر الذي حدا بحكومة باريس (وهي التي كانت تساعد أعداءه الجمهوريين وتؤيدهم ضده) الى ان ترسل في ٣ شباط ١٩٣٩ مبعوثا خاصا الى بورغوس عاصمة فرنكو آنئذ ، لتبحث معه أمر اعتراف فرنسا به ، ولكنها وضعت سلسلة من الشروط ، أبرزها اعادة المتطوعين الايطاليين فورا ، فرفض فرنكو بشكل بات ، وأصر على رفضه ، حتى رضخت فرنسا لشروط جارها العنيد ، واعترفت به في ٢٧ شباط ١٩٣٩ ، وما كادت الايام الاولى لشهر آذار تنقضي ، حتى تقدم المارشال (بيتان) بأوراق اعتماده الى القائد الوطني لاسبانيا كأول سفير فرنسي لدى حكومته ، التي بدأت توطد علاقاتها مع محور روما ـ برلين ، الذي قدم لها مساعدات قيمة ، وفي الثامن والعشرين من آذار سقطت العاصمة مدريد في أيدي القوات الوطنية ، وفي الاول من نيسان أعلن فرنكو رسميا أن الحرب الاسبانية قد انتهت ، فابتدأ المتطوعون الايطاليون والالمان يغادرون البلاد ، وأعلن الكونت شيانو وزير الخارجية الايطالية آنذاك مدى مساعدة دولته في الحرب الاسبانية ، وكانت خسارة الايطاليين هناك في سبيل النصر الذي أحرزه فرنكو باهظة ، فقد

سقط منهم (٣٢٢٧) قتيلا ، و (١١٢٢٧) جريحا ، وقاموا بـ (٥٣١٨) غارة جوية [١] .

هكذا كان الجو السياسي عندما ذهب شيانو الى اسبانيا في العاشر من تموز (١٩٣٩) حيث قابل فرنكو ، الزعيم الظافر ، الذي أعرب له عن تقديره لايطاليا الفاشية ، واكد عزمه على الانضمام الى صف دول المحور عندما تمر الازمة الاسبانية نهائيا ، وتصحو اسبانيا من تلك الحرب القاسية التي كلفها حوالي مليون نسمة ، وتعوض الثروات التي تسربت الى الخارج مع المهاجرين من أنصار العهد البائد ، والتي زادت على الخمسة مليارات بسيتا (البسيتا تعادل تسعة قروش سورية) وقال فرنكو انه يحتاج الى فترة من السلم لا تقل عن خمس سنوات لتندمل بعض جراح بلاده ، وتتخلص الحكومة الوطنية من عناصر الحكم السابق ، وكان يسيطر على اسبانيا فعلا عهد من الارهاب ، فكان يعدم في مدريد وحدها (٢٥٠) شخصا يوميا وفي برشلونة (١٥٠) وفي اشبيلية بمعدل (٨٠) الخ .. بينما كان حوالي عشرة آلاف شخص ينتظرون نفس المصير .

* * *

ولكن مهلة السنوات الخمسة هذه لم تكن ممكنة ، لان سماء أوربا كانت متلبدة بالغيوم والكارثة تنذر بالوقوع في أية لحظة ، والاحداث تتعاقب بسرعة مدهشة فما كادت تنقضي خمسة أشهر فقط على اعلان فرنكو انتهاء الحرب الاهلية الاسبانية ، حتى عبر الجيش الالماني قبل فجر الواحد من ايلول سنة ١٩٣٩ (وكان قد تم توقيع الميثاق الالماني الروسي في (٢٤ آب) الحدود البولونية السيليزية ، وفي الثالث منه أعلنت فرنسا وانكلترا الحرب على المانيا .

ومزق الجيش البولوني شر ممزق في ثمانية عشر يوما ، واحتلت المانيا دانزيغ ، وفي التاسع من نيسان ١٩٤٠ احتلت القوات البحرية والبرية الالمانية الدانمرك والنروج ، وفي الشهر التالي مباشرة ابتدأ الهجوم الالماني الهائل على الغرب ، فدخلت قوات (الفيرماخت) هولندا وبلجيكا واللوكسمبورغ ، وفي الرابع عشر من حزيران دخلت قوات الرايخ الثالث باريس ، وبعد أيام ثلاثة استسلمت فرنسا ، وفرض (فون كايتل) عليها في الواحد والعشرين من حزيران شروط الهدنة الالمانية ، في ذات العربة التي فرض فيها الحلفاء شروط سنة (١٩١٨) ، وابتدأت جموع هائلة تتدفق على ميناء (سان سيباستيان) الاسباني ، أغلبهم من المهاجرين الفرنسيين واليهود . وفي الساعة الحادية عشرة من صباح باسم من أيام حزيران المشرقة ، انزل العلم المثلث الالوان من مخفر الحدود الاسبانية ـ الفرنسية ، وارتفع الصليب النازي المعقوف عوضا عنه ، بينما كانت أسراب من طائرات (الشتوكا) تملأ السماء دويا يبعث الرهبة في القلوب .

كانت أوربا قد جثمت على ركبتيها أمام غزاة الجرمان الاقوياء في العصر الحديث .

* * *

ثم ابتدأت سلسلة من الغارات الجوية الساحقة على بريطانيا ، في محاولة لاخضاع هذه الجزر التي طالما استعصت على نابليون من قبل ، وكان هذا أول خطأ في سلسلة الاخطاء التي ارتكبها الفوهرر الالماني وادت الى خسارته الحرب ، بعد أن سيطر على الموقف ، وأصبح منه النصر جد قريب .

ولما فشل هذا الهجوم الجوي الكاسح ، تحولت أنظار الدبلوماسية الالمانية الى جهات ثلاثة :

١ ـ شل حركة المساعدات الاميركية لبريطانيا وتجميد تدخلها ، واستمالة اليابان كتدبير وقائي لذلك .

٢ ـ الاطمئنان الى سلامة حدودهم الشرقية بعقد اتفاقية مع الروس ، أوسع وأنجع من اتفاقية ٢٤ آب ١٩٣٩ .

٣ ـ الضغط على اسبانيا لتدخل الحرب ، وذلك لاغلاق البحر المتوسط في وجه الانكليز من ناحية جبل

---

(١) الوثائق السرية للكونت شيانو ١٩٣٦ ـ ١٩٤٢ . ص ٢٨٩ .

طارق ، ولتتمكن قطع الاسطول الايطالي من الاشتراك في الحرب البحرية في المحيط الاطلسي .

والظاهر .. ان فرانكو كان قد أبدى استعداده لدخول الحرب منذ سقوط فرنسا في حزيران ، وبعد الاتصالات والمشاورات ، أبلغ (الهرشتورر) سفير ألمانيا في مدريد ، حكومته في برلين استعداد اسبانيا للدخول في الحرب ، ولكن بشروط ، أبرزها : أن يكون جبل طارق ، ومراكش الفرنسية ، وذلك القسم من الجزائر الذي يسكنه الاسبان حتى وهران ، من حصة اسبانيا ، مع صلاحيات بتوسيع منطقة النفوذ الاسبانية في نهر الذهب ومستعمرات خليج غينيا .

وطلبت اسبانيا مساعدات عسكرية واقتصادية كبيرة ، كان لديها من البنزين ما يكفيها لثمانية عشر شهرا ، أما من القمح ، فلم يكن لديها الا ذخيرة ثمانية أشهر فقط . ليس هذا فحسب ، بل كان فرانكو يرى ان اشتراكه في الحرب الى جانب المحور يجب الا يتم الا بعد نزول القوات الالمانية فعلا في الجزر البريطانية ، والا تعرضت بلاده لحرب طويلة الامد وهي لم تنهض بعد من عثرات حربها الاهلية الضروس . وقد ابلغ فرانكو موسوليني نفس هذه المطاليب في المتوسط وشمالي افريقيا وجبل طارق .

وفي شهر ايلول ١٩٤٠ أرسل الزعيم الاسباني وزير داخليته (سيرانو سونيير) ، وهو صهره وساعده الايمن ، الى برلين بمهمة رسمية فوق العادة ، لجس النبض واستخلاص ما يمكن من هذه المطاليب وفهم موقف قادة المحور منها . وهناك قابل فون ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية ، وحدثه عن امكان دخول اسبانيا الحرب موضحا له حاجة بلاده الى القمح والفحم والكاوتشوك والقطن ووسائل النقل ، وبالغ في الارقام الشاهدة على ذلك ليفهم محدثه ان دخول اسبانيا المعركة في هذه الظروف تضحية كبرى يجب ان تكافأ عليها بما تستحق من مكاسب ، ثم انتقل مباشرة الى الحديث عن مراكش فأوضح ملابساتها السياسية والتاريخية ، ولكن ريبتروب وضع حدا لهذه الآمال التوسعية ، ولم يعطه أي وعد باسم حكومته ، ثم أبلغه بعد ذلك في حفل الغداء الذي أقامه في نفس ذلك اليوم على شرفه ، أن الفوهرر استاء كل الاستياء من سياسة الحكومة الاسبانية، وحذره من غموض هذه السياسة التي قد تحمل هتلر على احتلال اسبانيا في يوم من الايام .

وفي صباح اليوم التالي تمت مقابلته مع الفوهرر (١٧ أيلول ١٩٤٠) الذي عرض له الحالة السياسية ، ثم شرح مشروعه التاريخي عن وحدة أوربا في ظل نظام واحد ، وقال ان شمالي افريقيا مرتبط بهذا النظام كما ترتبط الامريكتان الشمالية والجنوبية بمبدأ (مونرو) ثم انتقل الى الحديث عن الفوائد التي ستجنيها اسبانيا اذا ما دخلت الحرب قبل ان يفوت الاوان ، والخدمات التي تقدمها للمحور باتخاذها هذه الخطوة الضرورية .

ومعنى ذلك ، ان أوربا بكاملها تطالب بشمالي افريقيا تحت زعامة المانيا ، وان اسبانيا لن يكون لها ما تريده هناك كما كانت تأمل .

والواقع .. ان الالمان لم يكونوا يستطيعون الاعتراف لاسبانيا بأية حقوق في مراكش والجزائر ، لان ذلك كان من شأنه ان يثير عليهم الامبراطورية الفرنسية بكاملها آنئذ ، وخصوصا في شمالي افريقيا ، عدا عن ان للالمان أنفسهم مطامع هناك . وكانت طلبات اسبانيا من الامدادات العسكرية وخصوصا المدفعية تفوق حدود الامكان ، فاتصل (فون ريبنتروب) بالكونت (شيانو) مخبرا اياه بأنه سيكون في روما بعد أيام قليلة ، بينما أرسل الوزير الاسباني (سونيير) في رحلة لزيارة أرض المعركة الفرنسية الالمانية الاخيرة ، ريثما يتم الاتصال بين سلطات المحور .

وقد تم هذا الاتصال فعلا في التاسع عشر من أيلول، حيث عقد اجتماع بين ريبنتروب من جهة ، وبين شيانو وموسوليني من جهة ثانية ، عرض ريبنتروب خلاله وجهة

النظر الاسبانية ، وشرح أهمية دخول اسبانيا الحرب : احتلال جبل طارق وطرد بريطانيا من البحر المتوسط ، الامر الذي يحقق للمحور الظفر الاكيد في الجبهة الليبية المصرية حتى وصول قواته الى قناة السويس ، كما ان دخول اسبانيا الحرب يبعد نهائيا خطر دوغول عن شمالي افريقيا ويحمي مؤخرة المحور في ليبيا ، وتم القرار على طلب قواعد عسكرية في جزر الباليارالاسبانية، وتحديد اعلان اسبانيا الحرب على انكلترا في خلال أربعة أسابيع .

وهكذا عاد فون ريبنتروب ، وأبلغ (سيرانو سونيير) مقررات المحور هذه .

ولكن فرانكو أجاب في ٢٢ أيلول ١٩٤٠ بالرفض المطلق للقواعد المطلوبة في الباليار ، وشرح بصراحة عجز اسبانيا عن صد أي غزو قد تقوم به بريطانيا على جزر كاناري الاسبانية ، أو على الاقل ، عدم امكان امداد هذه الجزر بالمؤن الكافية ، وبذلك ابتعد الامل في دخول اسبانيا المعركة .

وتتابعت الحوادث ، فتم توقيع الاتفاق الثلاثي في ٢٨ أيلول ١٩٤٠ بين دولتي المحور واليابان ، واغتنم هتلر فرصة وجود شيانو ليطلب عقد اجتماع مع موسوليني في (بريز) تبحث فيه مسائل البحر المتوسط وموقف اسبانيا ، فأسرع (سيرانو سونيير) وزير الخارجية الاسبانية ، الى الاجتماع بموسوليني في الواحد من تشرين الاول ، ليعرض المطالب الاسبانية نفسها ، فأصغى اليها الزعيم الايطالي ، وناقشها ، ثم غادر مقره للاجتماع بالفوهرر الذي أكد له أن الحرب يجب ان تعتبر في حكم المنتهية في صالح المحور ، وانه يجب تجنب أية التزامات جديدة لا تعود بالنفع العميم على كل من المانيا وايطاليا على السواء ، واقترح الدوتشي عندئذ اخبار فرانكو ، تجنبا لاستيائه وظفر العناصر المناوئة له ، ان المحور على استعداد لبحث أية مسألة تتعلق بتعديل الممتلكات الاسبانية في الشمال الافريقي ، بعد عقد السلم، وأن ايطاليا والمانيا ستقدمان ما تستطيعانه من المساعدات الاقتصادية والعسكرية خلال ذلك ، كما اقترح عقد اجتماع مع فرانكو يحدد موعده فيما بعد . وقد وافق هتلر على هذه الاقتراحات ، وعاد موسوليني من (بريز) في اليوم التالي (٥-١٠-١٩٤٠) لابلاغ (سونيير) الوزير الاسباني نتيجة اجتماعه بالزعيم النازي .

ولم تكن الحوادث بعد ذلك مشجعة لاسبانيا ، فقد أعلنت برلين في (١٢) تشرين الاول ارسال بعثة عسكرية المانية الى بخارست والتعهد بالحماية الجوية لآبار البترول في رومانيا ، الامر الذي كان من شأنه ان يسيء الى العلاقات الالمانية الروسية . وقد دفعت هذه الخطوة التي اتخذها الالمان دون استشارة موسوليني ، دفعت الطليان الى مهاجمة اليونان ، ولم يكن فرانكو يعلم شيئا عن نوايا الحكومة الايطالية نحو اليابان ، ولكنه كان يتوقع أحداثا خطيرة في البحر المتوسط ، وكان يعلم ان المحور بحاجة ماسة الى موقع اسبانيا الجغرافي ، وقد أثار الحاح الالمان بعض شكوكه ، وهم الذين كانوا يعلنون في كل مناسبة انهم ربحوا الحرب ، ولكنهم يحاولون بكل الوسائل الضغط على اسبانيا للاشتراك معهم فيها ، حتى بلغ الامر بهتلر الى ان يتجاوز عن بعض كبريائه ، ويذهب لمقابلة فرانكو في (هندايا) على الحدود الفرنسية الاسبانية في ٢٣ تشرين الاول ١٩٤٠) حيث تم توقيع بروتوكول غير واضح ، ذي صفة سرية ، تعهدت مدريد بموجبه أن تدخل في الاتفاق الثلاثي (ايطاليا - المانيا - اليابان) وان تشترك بعد ذلك في الحرب ، اعترفت المانيا بدورها ، بتعابير مبهمة ، بمطالب اسبانيا المتعلقة بالممتلكات من حيث المبدأ ، وقد استطاع فرانكو في الواقع أن يتهرب مرة أخرى من دخول الحرب دون اغضاب الفوهرر ، وحمله على اتخاذ أي تدبير خطير بالنسبة لاسبانيا .

وعاد هتلر بخفي حنين ليقابل الدوتشي مرة أخرى في فلورنسا (٢٨ تشرين الاول) بعد ساعات قليلة من بدء الهجوم الايطالي على اليونان ، عاد يروي لموسوليني قصة لقائه مع فرانكو قائلا عنه (انه رجل باسل ، ولكنه

لم يصبح رئيس دولة الا بمحض الصدفة) وان الاسبان لا يعرفون موقفهم بشكله الصريح العاري ، بل يصرون على مطاليب لا تتناسب مع قوتهم الفعلية ، وان فرانكو قد طلب الاعتراف بمطاليبه بشمالي افريقيا ، وجبل طارق ، وتعديل الحدود الاسبانية ـ الفرنسية عند جبال البيرنة ، وضم كاتالونيا الفرنسية الى اسبانيا الخ .. ولما كان من المستحيل قبول هذه الشروط الواسعة ، فقدتمت صياغة بروتوكول سري غامض بعد اجتماع دام تسع ساعات كاملة قال هتلر عنه (انه كان يفضل قلع ثلاث أو أربع أضراس من فمه على الوصول الى مثله .

ولكن الايام أجبرت زعيم الرايخ الثالث على اللجوء مرة أخرى الى طلب المساعدة الاسبانية ، فقد ابتدأ موقف ايطاليا يتدهور في اليونان وليبيا على السواء ، وأصبح التدخل الالماني ضروريا لحسم الموقف ، وللتأكد من نجاح ذلك ، كان يجب اغلاق المتوسط في وجه بريطانيا باحتلال جبل طارق الذي كان ضعيف التحصين من ناحية السواحل الاسبانية . وهكذا استدعي وزير الخارجية الاسبانية (سيرانو سونير) فجأة الى (برشتسغادن) وهناك أفهمه هتلر في (١٩ تشرين الثاني) ان القوات الالمانية مستعدة اتم الاستعداد لاحتلال جبل طارق واغلاق المتوسط ، بينما تزحف قوات المانية أخرى من ليبيا الى مصر لاحتلال قناة السويس بعد ان تطمئن الى قطع المؤن عن القوات البريطانية التي ستضطر الى انتظار النجوات عن طريق رأس الرجاء الصالح الطويل ، وقال هتلر (هناك من بين المائتين وثلاثين فرقة التي تملكها المانيا في الوقت الحاضر ، مائة وثمانين فرقة على استعداد للتوجه الى حيث تصدر اليها الاوامر بذلك) الامر الذي اشتم منه وزير الخارجية الاسباني تهديدا غير مباشر ، فلم يزد على أن كرر ما قاله من قبل عن سوء الحالة الاقتصادية في بلاده وضعف القوة العسكرية ، وأعاد ذكر حقوق اسبانيا ومشاريعها التوسعية ، وانتهى الاجتماع مرة أخرى ، كالعادة ، بمطاليب باهظة ، وتملص اسبانيا مرة أخرى من الحرب .

وفي ٧ كانون الاول ١٩٤٠ أوفد الاميرال (كاناريس) رئيس المخابرات السرية الالمانية الى مدريد لمقابلة فرانكو ، وتحديد موعد حوالي منتصف كانون الثاني سنة (١٩٤١) لاحتلال جبل طارق ، فرفض الزعيم الاسباني بشكل قاطع أن يحدد له موعد لدخول الحرب ، ورفض تحديد هذا الموعد هو نفسه عندما طلب اليه كاناريس ذلك ، وفشلت بذلك جميع الوسائل الدبلوماسية الالمانية ، فلجأ الفوهرر الى موسوليني لعلمه بقيمته عند فرانكو وتأثيره عليه .

وكانت مراسلات ومداولات ، تقابل بعدها الزعيمان الاسباني والايطالي في (بورديفيرا) بايطاليا في صباح (١٢ شباط ١٩٤١) ولكن النتيجة لم تكن أحسن من سابقاتها ، ولو ان الاسلوب اختلف في التعبير عنها ، وانتهى الاجتماع الى لا شيء . كانت اسبانيا مصرة على حيادها حتى تعلم نتيجة الحرب بشكل مضمون ، وكان هتلر يعرف ذلك ، لانه كتب الى موسوليني فيما بعد ، قبيل بدء الهجوم على الاتحاد السوفياتي يقول (ان اسبانيا لن تدخل الحرب الا عندما تصبح نتيجتها واضحة بشكل أكيد .. [1]) .

ثم تتابعت الاحداث الدولية ، وابتدأ الهجوم الالماني على روسيا ، وأصبحت الجبهة الافريقية ثانوية بالنسبة للجبهة الروسية التي قررت مصير الحرب ، وفشلت كل الجهود لحمل الاسبان على الاشتراك في النزاع الدولي ، فيما عدا بعض المتطوعين من الاسبان الذين اشتركوا في الحرب الروسية ، وقال الالمان بعد ذلك ان الحكومة الاسبانية خدعتهم ، ونعتوها بالعقوق ونكران الجميل .

هذه هي محاولات الدبلوماسية الالمانية للضغط على اسبانيا ابان الحرب ، تلك الدبلوماسية التي فشلت بشكل ذريع في جميع المراحل .

ولم تكن بريطانيا مكتوفة الايدي ازاء كل هذه

---

(١) من رسالة هتلر الى موسوليني في ٢١ حزيران ١٩٤١ .

المحاولات بل ارسلت (اللورد هور) كسفير حرب لدى اسبانيا ، وكان من دهاة الانكليز المحنكين ، تنقل بحرية بين الشمال والجنوب ، وعقد الاجتماعات ، وأحكم الاتصال بالعناصر المناوئة (لسيرانو سونيير) وزير الخارجية الاسبانية المعروف بصداقته للمحور ، حتى أزيح هذا من منصبه ، وأعيد (خوردانا) الى وزارة الخارجية ، وكان الالمان أعجز من أن يهاجموا اسبانيا آنئذ ، بينما كانت جيوشهم تتراجع في كل مكان .

والواقع .. ان أصرار اسبانيا على الحياد كان له أثر حاسم في تقرير مصير الحرب في صالح الحلفاء ، فقد كان التيار في الولايات المتحدة ضد التدخل سنة (١٩٤٠) وكان دخول اسبانيا الحرب سيؤدي حتما الى طرد الانكليز من المتوسط .

واقتصر نقل المؤن الى ليبيا وتونس في آواخر الحرب على الجو ، وكان أغلب تلك المؤن لا يصل سالما ، ولو احتلت الجيوش الالمانية والاسبانية الطريق البري الى ليبيا لوصلت الامدادات سليمة ، عدا عن اشتراك الاسبان آنئذ في المعركة ، وأثرهم في ترجيح الكفة على الجيوش البريطانية المتراجعة .

ولو طردت انكلترا من المتوسط ، واحتل جبل طارق ، لما استطاعت القوات الاميركية فيما بعد النزول في مراكش ، ولا فتحت الجبهة الايطالية التي أدت الى اخراج ايطاليا عمليا من الحرب ، وبشكل نهائي .

كذلك كان طرد انكلترا من البحر المتوسط يوفر على المحور غزو اليونان ويوغوسلافيا ، وهو السبب المباشر في تدهور العلاقات الالمانية الروسية ، وقد كان تدهور هذه العلاقات سبب فتح الجبهة الشرقية الذي أطال أمد الحرب ، وشجع العناصر المتطرفة في أمريكا على التدخل ثم أطاح بالقوة النازية الهائلة بين الجبهتين ، عدا عن الجيوش التي خسرها المحور في شمالي افريقيا .

ولكن الاسبان اشتطوا في الطلب ، ولم يكونوا مستعدين لدخول الحرب فعلا الا سنة (١٩٤٠) بعد انكسار فرنسا ، الا أن الالمان ، في نشوة الظفر وثقتهم بالنصر النهائي ، لم يقدروا الموقف حق قدره ، فرفضوا المطاليب الاسبانية ، وحاوروا الوزير الاسباني وداوروه وهددوه ، حتى فقد الامل ، ولم يجد بعد ذلك مسعى ولا اتصال .

ابو احمد العتال والتلفزيون !

قصة منع نشرها بقلم : ادوار حشوة

أبو أحمد العتال يجلس على الارض قرب الباب التاريخي الباقي من سور مدينة دمشق القديمة ، ذلك السور الذي كان يلتف حول المدينة كأنه الخاتم ، يحميها من عدوان الآخرين .

ويحن عليها فينفتح على السهول الخصبة المحيطة بالمدينة بأكثر من باب .

أبو أحمد يجلس قرب الباب الكبير والمعروف باسم « باب توما » ذلك الباب الذي تحدى الزمان ليعلن اتصال الماضي البعيد بالحاضر .

« الباب التاريخي » سعيد في هذه الايام ، هكذا فكر أبو أحمد ، ان توما نفسه سعيد أيضا ، فالحكومة وضعت بجانب هذا الباب شاشة ينبعث منها نور وتتحرك داخلها صور مختلفة ، وضعت الحكومة هذا التلفزيون ليتفرج الناس ، الفقراء منهم خاصة على برامجه وأغانيه وأخباره .

وفكر أبو أحمد حكومتنا اشتراكية ، تعرف انه لا يوجد مع العمال أمثالنا ثمن تلفزيون لذلك وضعته في الطريق ، حكومتنا حنونة .

ووقف عند كلمة « ثمن تلفزيون » وضحك من سنوات عمره التي جاوزت الخمسين وتحسس بصمت فراغ جيبه ، وتذكر انه لم يذهب الى السينما أكثر من مرة في أحد الاعياد ، فوالده ومشايخ الحي قالوا انها وكر للفساد وللاخلاق الرديئة ، وانهالوا عليها في المساجد تهجما ، حتى صار الناس يخافون حتى من مجرد النظر الى لوحات الاعلانات المعلقة على أبواب السينما !

أبو أحمد تربع على حافة الرصيف ، وبدأ يلتهم بعينين جائعتين الصور التي تتآلى على الشاشة بأعجاب وسرور .

كان يسمع صوت أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وعبد الوهاب في الراديو الذي كان عند جاره صاحب دكان يبيع الحمص والفول والفلافل .

ولكن لم ير أبو أحمد امرأة سافرة تغني مثل صباح ونجاح ، لذلك كانت عيناه تلاحقان الزنود العارية بنهم عتيق دون ان يشعر بمثل الذي أوهموه به يوم كان يفكر بالدخول الى السينما .

وقال أبو أحمد في نفسه ، السينما شيء آخر ، كلها كفر ، أما التلفزيون فحلال لان الشيخ عبدو لم يهاجمه أبدا في المساجد ولانه حلال سمحت الحكومة للناس بمشاهدته في الطرقات .

وارتاح أبو أحمد عند هذا الخاطر . وراح يتابع الصور بنشوة أنسته العالم الخارجي .

نسي آلامه ، نسي أشياء كثيرة كانت تلاحقه كأنها ضربات مطرقة ، نسي المتعهد الاجرب الذي يعمل عنده في حمل الاحجار مدة (١٢) ساعة ويقبض ليرتين ومجموعة من الشتائم والتهديدات .

وفكر « لعنة الله على الفقر » لو كنت غنيا لاشتريت تلفزيون .

ثم صمت كأن شيئا خدره ، فقد ورد اليه خاطر مزعج ، ان صاحب دكان الحمص والفول والفلافل يطالبه بأجرة الغرفة التي يسكنها مع خمسة أولاد وأمهم وامها !!

ولكن سرعان ما تبدد هذا الصمت ، فصباح تتمايل بغنج ودلال على شاشة التلفزيون وتغني وتغمزوتضحك، تضحك له بالذات !!

* * *

وتنهد أبو أحمد ، وهو يلتفت الى صطوف بن عبد الله الفقير ويقول :

ـ الله يخلي هالحكومـــة !

ـ الله يسمع منك . أما شي عظيم يا أبو أحمد !

ـ الدنيا تقدمت ياصطوف ، صرنا مثل الاميركان.

ـ الله يجيب الخـير ، والله من زمان كنا ندفـع الفرنك لصاحب صندوق الدنيا حتى نتفرج على عنتر بن شداد والزير ، وكان صاحب الصندوق يقول « خلص خمس دقائق بفرنك .. هات فرنك ثاني » .

ـ صحيح .. والله اليـوم بلا فرنكات .. وعلى طول الف عنتر وزير في التلفزيون !.

ـ اليوم يا حبيبنا في شي أحلى من أيام زمان ، فيه أم كلثوم والحكومة وعبد الحليم حافظ وديبوالفهمان

* * *

المذيع يذيع نشرة أخبار التلفزيون ، وطفل صغير ينادي :

ـ أبي أبي ..

والتفت أبو أحمد الى ابنه وهو يقول : نعم .. خـير !؟

ـ أبو محمد بياع الفلافل ما رضي يعطيني فلافل قال روح هات مصاري من أهلك !

ـ روح عيني .. روح ما في معنا الفرنك ، لاحقنا على التلفزيون كمان !

والتفت أبو أحمد الى صطوف قائلا :

ـ أخي معك ليرة سوري .؟

ـ والله يا أبو أحمد ما بقي معي القـرش دفعت ثمن دواء للمرأة .. واليـوم أكلنا خبـز وبصـل الله وكيلك .

ـ الله يلعن الشـيطان ، والله أجرتنا مـا بتكفي ، ليرتين يا رجل .. عندي أولاد خمسة !

ـ طيب الاجرة لازم تكون (٣) ليرات سورية .

ـ معلمنا ما بيدفع غير ليرتين « عجبك اشتغل وما عجبك بره » .

ـ روح على النقابـــة .

ـ دخيلك .. كل شيء الا النقابـة ، اذا حكى الواحد بيقولوا حكى واذا ما حكى بيلعنوا أبو أبوه . النقابة ما منها فايدة .. دفاتر بس .

ـ صحيح كلامك ، ما في واحد بيحكي ، أبو عبد الله الدوماني من يومين أخذوه وربوه كان عمال يحكي طالع نازل .

ـ ما فهمت عليك ..

ـ أخذوه .. أجرة زيادة ما في لازم نزيد الانتاج حتى تتقدم البلاد .

ـ اذا زادت الاجرة يزيد الانتاج ..

ـ قالوا له .. ما بصير لازم يزيد الانتاج .

ـ والله ظلم يا أخي ..

ووقف صطوف قائلا .. الله يرحم أبوك تفرج على التلفزيون أحسن ما يسمعنا شي واحد ، عندي أولاد بدهم ياكلوا ..

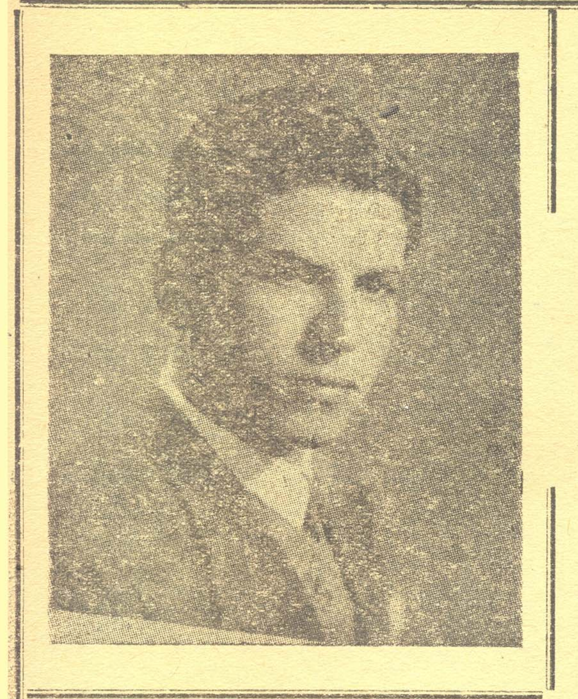
تفرج عالتلفزيون .. ما في ظلم أبـدا .. لازم نزيد الانتاج .

ونظر أبو أحمد الى يمينه فرأى شخصا بشارب كبير ، شك في أمره فقال : الدنيا تبدلت .. صار في عندنا تلفزيـون .. صرنـا مثـل الاميركـان .. الله يخلي هالحكومة .

موعد

شعر ..

عبد الرحيم الحصني



ابر وحي على دلالك أبخل
وأنا منك ، ومضة من خدود
أنسج الوهم من خيوط التمني
صمتي الشاحب الكليل اليه
وانطوى ينفث القوافي كلمى
موعدي مرتع الجمال عليه
من يد الحب كم شربت كؤوسا
وبناني مشدد يتهادى
كنز در على وسائد عاج
وارتعاشات خائف لا ولكن
واذا الليل ما استعاد رؤاه
ما علينا اذا اليه خلدنا
ها هو المرتع المؤنق يزهو
ليلك ينفح الاثير وورد
وافترار على شفاه السواقي
وبساط من الشقيق جريح
وكؤوس على رنيم صداها
ها هنا ذابت القلوب حنانا

وعن الشعر في جمالك أغفل
أشعل الحب حولها ألف مشعل
واناجي هواك وجدا وأسأل
أسلم الفكر أمره وتظلل
يرشف الليل ماءهن وينهل
كم جنينا من المحبة مأمل
خلف جفنيك كل حسن تمثل
بين خصريك والبراعم تخجل
رشه التيه ، فاستراح ، فجمل
كيف أغفو على الزنود وأوجل
ورفيف الصباح نشوان أقبل
بدل الكون ، حبنا ما تبدل
رصع الطل جانبيه وكلل
لامس الصبح وجنتيه وقبل
من مدام شرابهن وسلسل
فوشاح المروج بالحسن مخمل
كم شدا بلبل وعربد جدول
غاية الحب أن نراك ونقتل

عبد الرحيم الحصني

فنانون وألوان

بقلم : اسامه سركيس

البواكير الاولى التي ضمها معرض الفنان مروان شاهين في حالة الفن الحديث ، كلمته الى جمهوره ، نصيبه من اليد الضاع رأيه في الفن ، الارهاص الذي يحدد مستقبله كفنان في مستأنف شرطه . فاللوحات وقد تدانت في قرابة النسب والدم والمولد ، اصطلحت لتلقي كل منها الضوء على أختها ، فما غمض في لوحة استبان في أخرى وما استبهم في موضع تجلى في موضع . وتبدى لنا الفنان في مقومات فنه : عدته من الفن موقفه من الحياة صورة نفسه وعقد خاطره وقد حشدت كلها في موكب تلاقى فيه الانسان بالطبيعة ، الانسان صورة وفكرة بالطبيعة مشهدا واعتبارا ، في مزيج من الالوان الموقعة ، تؤنس ظاهرات الكون عبر وعي الفنان مجتلى أو واقعة أو فلسفة .. فكل لوحة معبر الى مشهد أو موقف انساني ، لم يكن له مشبه أو سابقة ، لانه مشهد أو موقف لن يتكرر أثره مرة أخرى ما دامت الظروف التي أملته على الفنان لن تعاود سيرتها . تلك هي الظروف التي أطلقت الشرارة لتكون وقدة من الشوق تنثال بها ريشة حوت رهافة الايقاع اللوني ورقة الخطوط في تموجها وانسيابها واعتدال النسب فيها ، في ابعاد من الضوء والظلال ، الوضح والقتام ، العمق والرقراق ، النفس المطمئنة الراضية والنفس العاصفة الثائرة . وسبيل الفنان الى غايته هذه الاصباغ يستنطقها فتنطق بما يريد فاذا هي نغم لوني فيه من الموسيقى مشبه واستعارة . ولئن كان الحاجة تقتضي الموسيقي امتلاك اذن موسيقية فالرسام محتاج لان يرى ، لان يمتلك الموهبة التي تحبوه سعادة الرؤيـة ، والخصيصة التي يتميز بها مروان ، والتي تجبهنا لاول وهلة ، هي الرءوية ، الرءوية بابعادها

معرض وفنان

النفسية ، لاغوار الاشياء والانسان ، رؤية تبلغ الاعماق ولا تقف عند حدود المظهر الخارجي .

ولقد أحسن مروان عندما ترك لوحاته دون أسماء لان التسمية تحد من استكناه المعنى الكامن في كل لوحة والذي يولده الانطباع في نفس الرأي تبعا لذوقه الفني واستعداده النفسي والذهني . ولئن تبدت اللوحات موزعة بين مشهد من الطبيعة وصورة لوجه أو لانسان فليست القسمة الا ظاهرة عابرة ، فالطبيعة مقيمة في الالوان وهي تتموج على قسمات الوجه ، صاخبة تارة كأنها الطبيعة في ثورتها وحانية هادئة كأنها « الشمس تعبث بوشاح الثلج موقظة الارض من رقادها الشتائي » والانسان وروحه يغلغلان في حنايا الطبيعة . وما أحسب الفنان الا اصاب هدفا بعيدا عندما نقل الينا لقاء الانسان بالطبيعة وفق رجاع نفسية ، انعكست في أشكال مستحدثة كأنها هفة الفنان الى القبض على الوجود كلا واحتوائه في ابعاد اللوحة .

يعرض مروان شاهين لوحاته وواقدة من الفن التجريدي تملأ دنيانا الفنية انتاجا ومقالات . وهذه الظاهرة تقتضينا مواجهتها ، لا بالمجابهة والرفض بل بالتقبل والمناقشة ، لنخلص أي موقف صحيح ، فكل مدرسة فنية لا تعدم نتاجا انسانيا يغني التراث الفني شكلا أو موضوعا . والتصدي لكل حدث فني لا يكون بمقالات النقد فحسب بل يكون أيضا ، وهو الاهم ، بالعمل الفني وهو ما أقدم عليه مروان شاهين كما نرى .

يقول فنان بارز من فنانينا في معرض حديثه عن التجريدية وبعض النزعات الفنية المعاصرة :

« التخلص من الموضوع من أشق الامور لان

الانتاج الحالي القائل بالتحرر من الموضوع لم يفلح كل الفلاح بعد ، لانه يتطلب حدقا فنيا وثقافة شاملة كما يحتاج الى أجواء خاصة يصعب على كل محيط اجتماعي تأمينها كانفعالات تهيج الفنان وتدفعه الى تفسير ذاته باشاراته الجمالية الجديدة • الخلاصة لا يزال الفن المجرد يحاول التخلص من الشوائب العالقة به بتأثير قوة الضغط الادبي الذي كنزه العقل والذي يتدخل في كل عمل فني تجريدي » •

كل فن اداة تواصل اداة لقاء مع العالم والآخرين والمضمون سبيله الى ذلك ، ولا أريد أن أحدد مفهوما ضيقا للمضمون ولا الشكل الذي يلابسه ، المهم أن يظل خيط الاتصال بين الفنان والمتذوق فأذابت هذا الخيط انعدمت غاية الفن ، وغدا ما يسمى فنا ضربا من الزينة أو البهرجة قد يبهج ويطرب وقد يروق ويمتع ولكنه ليس فنا على كل حال وعندما يقع هذا الانقطاع بين روح الفنان وعقله وبين ما يصله بالناس ، عندها يصبح الفن لعبا أو وسيلة لاشباع الاغراب والحذلقة ليس الا •

يقول ناقد فني : من المستطاع خربشة صورة تمثل صفا من الاشجار بتغميس مكنسة من القطران وفق هذا ليس من الفن والقطران ليس لونا والمكنسة ليست ريشة الفنان •

ولست بسبيل الحديث عن أسباب تحطيم الموضوع في أوروبا الباحثة عن معنى جديد للحياة بعد حربين داميتين وبعد تحرر المستعمرات وبعد انطلاق الانسان الجديد ولسنا بسبيل ترجيع القول بأن المبالغة في تقديس الشكل الجمالي ، كما تقول سيمون دي بوفوار ، في مقابل المضمون انما يهدف الى توسيع الهوة بين الطبيعة التي يحيا فيها الانسان العادي والعالم الاصطناعي الذي تحيا فيه الصفوة المختارة • لسنا بسبيل ذلك الآن •

ولكن الفن يواجه متطلبات جديدة ، انه يروم التحرر من التصويرية المبسطة الساذجة بعد أن ساهمت الآلة في هذا الميدان عن طريق التصوير الشمسي والسينما والتلفزيون • ومن هنا تأتي الحاجة الى مقابلة المدارس التجريدية الحديثة واستخلاص ما ينفع في استحداث شكل فني جديد • وبرأيي أن الفن المأمول ليس الفن الذي يحطم الموضوع بل الفن الذي يضع الموضوع وضعا جديدا بعد اغنائه بذاتية الفنان ، وليس هدف الرسم أن يحل محل الحياة بل هدفه أن يترجم عنها بلغة الفن الشعرية ، أن يعيد الانسان والطبيعة مخلوقين من جديد •

وفي اعتقادي أن مروان شاهين يتعرض في رسومه لهذه الحاجة ويجيب عليها بأسلوبه ، فطلبته من الفن معطياته الحديثة وأن يكون في متناول الناس وأن يعبر عن فائدة متزايدة للانسان • ويتبادر سؤال الى أي حد توفق مروان في محاولته وأين موضع قدمه في زحمة الاقدام أقدام المقلدين وأصحاب اللجاجة والاغراب ؟ ان النظرة الاولى الى معرضه ترينا أن الحقيقة الفنية لديه ليست حقيقة الواقع الحرفي بل حقيقة الطبيعة الكامنة التي تعمل في أعماقنا فهي تعمل في تكوين حقيقة سرها الكامن لا مظهرها المبذول للعيان والفن لديه نمو روحي يزيد عمق ادراكنا للحقيقة ويحفظ علينا ذلك الادراك • انها محاولة جديدة قد يكون من الصعب تقويمها تقويما منصفا صحيحا الآن فلندعها تأخذ مداها ولنلقي عليها بعض الضوء بالحديث عن طريقة مروان الفنية •

لعل من المعاد المكرور أن نقول بأن لوحات مروان تمتاز بالشاعرية • فالطبيعة عنده تذوب في وهج الالوان موزعة وفق نسب ومساحات ، ولكن هذه الطبيعة لها تجافي الطبيعة التي الفناها وانسنا اليها ، بل تختزلها في خطوط وتستغني عن الاجزاء الناقلة منها • ونحن نحس ازاء لوحاته وكأننا نرى الطبيعة هذه لاول مرة ، ولكننا لا نلبث أن نرد الى احساس آخر فان هذه الطبيعة المستحدثة ليست غريبة عنا لانها تجيب على مخزوننا من الصور والروى • نحن لا نتذكر ، عندما نرى بعض لوحاته أننا نرى مشهدا بعينه ولكنا نرى الطبيعة ككل

وقد أعيد ترتيب ظواهرها فثمة شلال دافق مستعار من هنا وثمة قمة شاهقة مستعارة من هناك وغير بعيد أفق رحب أو كوة في السماء قد نتذكر انفا رأينا مشبها لها ٠ ولكن التكون العام للوحة يعيننا لا على تحديد مكان ما نشاهده من الطبيعة بل على خلق احساس لدينا بأن ما نشاهده هو طبيعة جديدة وقس ذلك ، بمقدار ، على اللوحات التي تمثل وجوها وأشكالا انسانية ٠

لقد أعار مروان التفاتا للعالم النفسي ، للعالم الباطني ولكنه لم يشأ أن يخرج بهذا الاستيطان عن مشاعر الناس وأحاسيسهم بالاشكال الفنية التي الفوها ارثا انسانيا منعكسا عليهم من كوكبهم اسراهن وحصيلة لما انتهى اليه فن اسرع في غابر العصر وحاضرها ، مشهد لم يشأ كلية ، التحرر من مخزون الصور والاشكال ولكنه اغنى هذه الرءوية ، بنظرة خاصة أضفت على لوحاته جدة وقوة ٠ فالشجرة مثلا ظلت شجرة وان تكن قد تخلصت من كثير من التفاصيل التي لم تعد بحاجة اليها ٠٠ وقد نرى هذه الشجرة وقد وجدت أصلها في سحابة ٠٠ والرؤية الداخلية هنا هي التي تقرب بين الشجرة والسحابة في وضع جديد استغنى عن كثير من الشوائب وهي التي تغني ادراكنا بحقيقة فنية جديدة ٠٠ انه مزاج مستحدث يجدد ولكنه لا يقطع الصلة بالامس ولا يسوق الحاضر قسرا بل يترك لكل شيء أن يأخذ مداه حتى يصل الى الضفة الاخرى ٠٠

وقد استعان مروان على ذلك لا بالصورة الذهنية وحسب ، بل بسمفونية الالوان أيضا ، التي تداولت اللوحات في تضاد صارخ أو تناغم هامس في الوان حوشية وأخرى مألوفة ٠ ولئن كان للون الاصفر ميسمه الخاص الخاص في لوحات مروان فلعله رفة الحلم يستعيدها الفنان من أم الالوان الشمس ، من السنابل الناضجة وقد حنت رؤوسها موقرة بحناها لتعانق أرضا سوداء ٠ لقد ضمت لوحات مروان عوامل القوة كآثار فنية ، في النسب الهندسية ، في التحديد والتضاد والدقة والبناء ، في حساسية أرض اللوحة لاستقبال النور ، في صوره الافق منتهى حركات القلم أو الريشة ومنتهى مزاج الالوان وهي قيد الحركة ، وفي الفضاء بما يمكن أن يعمره من صور ذات قدرة متجددة عن التشكل والتركيب والحركة ، حركة جميع العناصر وفي جسم الانسان وقسمات وجهه باعتباره أكثر أشكال المادة حساسية ودقة ٠٠ من كل ذلك بنى مروان لوحاته ، وبكل ذلك انفعل حتى استوت له هذه المجموعة من اللوحات الابكار عذارى يذفها الى خدور السفن مجلوة وفق منهج جديد فيه أصالة وفيه دقة وتنوع ، منهج يجمع بين الحلم والحقيقة ويحمل الرغبة في تحطيم المألوف من الشكل والموضوع بخلق شكل أعلى ومضمون أشمل ٠

ومهما يكن من أمر فما يعطي لوحات المعرض قيمتها أيضا هو انها تعبر بصدق عن احساس الفنان ، تعبر عن عصره وعن أخلاقه وهذه القيمة هو الفارق الجوهري بين الفن والصفة وهو القيمة الاساسية للعمل الفني ٠

وبعد ، لعلي تساءلت ، وأنا أسجل انطباعاتي عن هذا المعرض اليس في لوحات الفنان مروان شاهين مآخذ يمكن أن تتمثل هذا الشكل أو ذاك من النقد ، وما هممت بذلك حتى أمسكت لسببين أولهما أن ما طالعنا به مروان هو شكل جديد أخشى أن نتعجل في الحكم عليه ، ومن حقه علينا أن ندعه ليأخذ مداه كالطفولة في منطلقها كالنبتة وهي تغازل النور لتستوفي حظها من النماء والكمال ، وثانيهما قدرته الملحوظة ، شأن كل فنان أصيل ، على تجاوز نفسه فالكلمة في فنه لم يحن بعد موعدها ، وما يمكن قوله هو أنه طاقة فنية ستحدد هي قيمتها بالمعاناة المستمرة والخلق المتواصل ، حتى تستقر ويكون لها حيزها كالمدينة على الخريطة ٠

والى اللقاء في معارض قريبة أخرى ٠

دمشق ـ احسان سركيس

لمحة عن الأدب الروماني

يرجع تاريخ الادب المطبوع باللغة الرومانية الى النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وهو يقوم بنوع خاص على تراجم لبعض النصوص الدينية تم طبعها على يد الشماس « كوريزي » ومكمليه من القرن السابع عشر وأهمهم « دوسوفتبي » الذي طبع بعض المزامير شعرا ، والمتروبوليت « آنتيم ايفيريانو » في « عظاته » الرائعة بخصائصها الادبية .

وفي القرن السابع عشر ، ولا سيما خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، برز فن التأريخ ، تمثله التواريخ ، وأخذ في تطور مستمر .

القرن التاسع عشر :

تتميز أوائل القرن التاسع عشر بنشاط حيوي في مجال الثقافة . كانت مجلات ذلك العصر ولا سيما مجلة « داسي » الادبية التي أسسها « ميهيل كوغالنيشايانو » تتجاذبها تيارات فكرية ديمقراطية تعبر عن اتجاهات مناهضة للاقطاع ومناصرة للتحرر الوطني . وكان للنفوذ الافرنسي والنفوذ الروسي – وفي الطليعة نفوذ « كيرلوف » و « بوشكين » أثرا بالغا خاصة في الادب المولدافي .

وفيما يتعلق بالاعمال المتوخاة نشر الثقافة في أوائل القرن التاسع عشر ، هنالك كاتبان يمكن اعتارهما كرائدين في هذا المضمار : وهما « جيورجيه آساشي » في مولدافيا و « ايون الياديه رادولسكو » في فلاشيا .

زد الى ذلك أنه أبدي اهتمام بالغ في ذلك العصر نحو كنوز الادب الشعبي : اذ نشر باحث مندفع في هذا الحقل يدعى « انطون بان » « ملاهي نصر الدين حجا العامية » و « خرافة الكلمة » التي تفيض بابداع خيالي جذاب وبحكمة شعبية .

يتبين في الاجمال من انتاج الادباء في النصف الاول من القرن التاسع عشر انهم كانت تدفعهم مثل ثورة ١٨٤٨ ، وان معظمهم قد اشترك في هذا الحديث .

طبع غريغور الكسندريسكو (١٨١٠ – ١٨٨٥) الشعر بانطلاقة قوية ، فقصيدة « عام ١٨٤٠ » التي هي بمثابة دعوة متدفقة نحو القيام بتغيير اجتماعي ، وقصائد أخرى مماثلة ، ان هي مرآة لشيء فهي مرآة تعكس ثقة مطلقة في التقدم . غير ان مما لا يختلف عليه اثنان هو ان الكاتب فاسيل الكسندري (١٨٢١ – ١٨٩٠) هو الشخصية المسيطرة التي تركت أعمق الاثر في الادب الروماني بذلك العصر ، اذ يعكس انتاجه حوادث لها أهميتها الخاصة في تاريخ الشعب الروماني : وهي ثورة ١٨٤٨ واتحاد البلاد الرومانية ١٨٥٩ وحرب التحرير من النير التركي (١٨٧٧) . لعب فاسيل الكسندري في المسرح دور رائد فكتب خلال أربعين عاما عددا كبيرا من المسرحيات تتوزع بين أبسطها نوعا كالمسرحية الغنائية الصغيرةالى الملهاة والدراما . وهنا يجدر بنا ذكر مجموعة ملاهي « السيدة كيريتزا » والدرامات الشعرية الثلاث « الحاكم المستبد » و « ينبوع بلاندوزيا » و « اوفيديو ».

ومن بين كتاب النثر في ذلك العصر ، يأتي في الطليعة ميهيل كوكالنشيانو (١٨١٧ – ١٨٩١) ونيكولاي فالشسكو (١٨١٩ – ١٨٥٢) اللذين بذلا نشاطا رحبا خاصة كمؤرخين . وكان لنيكولاي فالشسكو في كتابه المعنون « تاريخ الرومان تحت حكم ميشيل الشجاع » تأثيرا عظيما على الأدب .

ان بالشسكو لهو أطرف وأشرف صورة لثورة عام ١٨٤٨ – فهو وطني كبير وديمقراطي ثائر عظيم ومفكر

عميق يميل الى المادة في شرح الظواهر التاريخية والاجتماعية ـ السياسية •

وبعد فشل ثورة عام ١٨٤٨ ، تابع بعض الكتاب السديدوا الرأي الكتابة على ضوء المثل التي خانها الزعماء اليمينيون للثورة • ويتبين لنا ذلك في انتاج بودغان باتريشييكو هازديبو (١٨٣٨ - ١٩٠٧) الذي قدم للمسرح الروماني احدى الدرامات التاريخية الاولى التي تتميز بقيمة حقة وهي « رازفان وفيدرا » • ومن جهة أخرى ، بذل هزديبو نشاطا متعدد الفروع : كمؤرخ وفولكلوري ـ وباحث في فقه اللغة •

أما النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكان عصر الكلاسكيين الكبار في الادب الروماني ، الذين كان انتاجهم صورة اما للوحة نقدية ضخمة عن المجتمع واما الاحتجاج غنائي من قبل بعض الفرديات الغاضبة من عقلية وأخلاق العصر • ويرجع الى ذلك أيضا انتاج أكبر شاعر روماني هو ميهيل امينسكو (١٥٨٠ - ١٨٨٩) • فبفضل انتاج هذا الشاعر ، أصبح مجال الشعر أكثر سعة وقد اكتسبت الكلمات معان وفروق لم تكن تمتلكها حتى مجيئه • وتعادل مخططات امينسكو ما يقارب ١٥٠٠ صفحة تشمل صورا عديدة للقصائد المنشورة ، كما تشمل مؤلفات لم تكتمل أو تم البدء فيها فقط • وذلك في الشعر وفي النثر وفي الادب الدرامي • وقد نشر امينسكو أولى قصائده في المجلة الترانسلفانية « العائلة » • وكان من بين آخر ما كتبه امينسكو في الشعر ديوان شعري فلسفي رائع تحت عنوان « نجمة الراعي » وهو عبارة عن اشعار غنائية رائعة يستذكر فيها بنجوى سنين الطفولة •

كان لامينسكو تأثيرا قويا على الكسندروفلاهوتزا (١٨٥٨ - ١٩١٩) الذي نشر بعض مؤلفات شعرية ورواية بعنوان « دان » تتسم بطابع الواقعية النقدية • بينما وضع ايون لوكا كاراجياله (١٨٥٢ - ١٩١٢) في النثر والمسرح انتاجا يمكن مقارنته لانتاج ميهيل امينسكو في الشعر • لم يسبق للادب الروماني ان عرف صورة ساخرة للمجتمع تشمل عالما كاملا من أشخاص متنوعين تدب فيهم الحياة ، بوسع الصورة التي رسمها كراجياله في ملاهية وفي مؤلفاته وفي أقاصيصه • أما أروع ما كتبه كراجياله فهي مسرحية « الرسالة المفقودة » (١٨٨٤) ويأتي معها عدد من المسرحيات لا تقل شأنا عنها ومن بينها « ليلة عاصفة » ومشاهد من الكرنفال • وهي آخر ملهاة له اتبعها بالدراما الوحيدة التي وضعها بعنوان « انتقام » •

وينتمي أيضا الى تيار الواقعية النقدية الكاتب « ايون سلافيشي » (١٨٤٨ - ١٩٢٥) ، فهو في أقاصيصه ورواياته مؤرخ ثاقب النظر لعالم القرى •

كذلك جاء ظهور ايون كريانغا (١٨٣٧ - ١٨٨٩) ضمن التيار نفسه ، حدثا استثنائيا في الادب الروماني • ان ابن الفلاح الملدافي هذا الذي أصبح كاهنا ثم هجر الكهنوت بسبب مسلكه غير اللائق ثم أصبح أخيرا معلماء ان هذا الرجل قد جمع في انتاجه بين تلقائية وعذوبة الفولكور وبين البراعة التامة لفنان كبير • شمل انتاجه « ذكريات الطفولة الساحرة » حيث يستذكر بنجوى حياة ابن فلاح ، كما يشمل أقاصيص هزلية وأخرى واقعية يصور فيها أشخاصا سماويين يتكلمون لغة الفلاحين الملدافين ويتسمون بأخلاقهم ويعيشون مثلهم •

انها القرية أيضا هي التي تشكل الاطار الوحيد لانتاج جيورجيه كاوسبوك الادبي (١٨٦٦ - ١٩١٨) وكوسبوك هذا هو بنوع خاص أحد كبار شعراء حرب الاستقلال في عام ١٨٧٧ وقد ترجم شعرا « الملهاة الآلهية » لدانت •

أما باربو ستيفانسكو ديلفرنشيه (١٨٥٨ - ١٩١٨) فهو مؤلف مجموعة ثلاثية من المسرحيات التاريخية المتكاملة يستذكر فيها سنين حكم الملك اتين الكبير • وتبرز مسرحيته « غروب الشمس » بوجه الخصوص خصائص شعرية ودرامية رائعة • شمل انتاج ديلفرنشيه

أيضا بعض المسرحيات المستخلصة من أقاصيصه الاولى ، أما المسرحية التي نجح فيها على الوجه الاكمل هي مسرحية « حجي تودوز » ، لما ابدى فيها من قوة في معالجة خلق هذا الشخص الذي يرمز الى البخل •

القرن العشرون :

تسيطر على الادب الروماني في الحقبات الاولى من القرن العشرين بعض الوجوه الكبيرة وهي ميهال سادوفيانو وليفيوربريانو في النثر وتودور اركيزي في الشعر •

ولد سادوفيانو في عام ١٨٨٠ ويشمل انتاجه ما ينيف عنماية رواية واقصوصة يصف فيها بطيبة كبيرة وتفهم عميق حياة الفلاحين او الحياة اللاحدود لها التي يعيشها موظفو الاقاليم • وفي عدد كبير من مؤلفاته يستذكر سادوفيانو الماضي في روح الوطنية والواقعية التي كان عليها الادب التاريخي في عام ١٨٤٨ • يتمثل قسم آخر من انتاجه في قصصه المشهورة عن الصيد البري والبحري التي تتسم بالاوصاف التي لا تضاهي للطبيعة • ويستحق سادفيانو كل الاستحقاق لقب « الكلاسيكي الحي » الذي أعطي له أكثر من مرة ، لما في نثره من الهام شعري ولما يتسم به فنه القصصي ولمساهمته الجبارة في تطوير اللغة الادبية الرومانية •

أما ليفيو ربريانو ، فمع ان انتاجه لا يقاس الى انتاج سادفيانو ويضم الى ذلك انحطاطا سياسيا وفنيا في المدة الاخيرة من حياته الا انه قدم بعض الروايات القصصية التي تتميز بمقاييس ضخمة • فروايته « ايون » هي لوحة واسعة عن القرية الترانسلفانية في أوائل هذا القرن ، بينما يعبر في روايته « غابة المشنوقين » عن ادانته القطعية للحرب • اما في كتابه « العصيان » وهو تحفة ما الفه ربريانو ، فانه يروي التمردات الفلاحية الكبرى في عام ١٩٠٧ ويرسم لوحة رائعة يتفرغ منها بقوة أشخاص متعددون وغليان الجماهير في انتفاضتها •

أما الشاعر تودور ارغيزي ، فقد ولد في عام ١٨٨٠ ووضع أهم انتاج شعري منذ امينسكو اذ وسع نطاق الشعر وجدد أساليبه التعبيرية • يجمع انتاج ارغيزي بين العصيان والاستسلام ، مما يشرح الوجه المتناقض لشعره في كتابيه اللذين وضعهما في ذلك العصر : وهما « الكلمات الصحيحة » (١٩٢٦) و « الزهور العفنة » (١٩٣١) • وقدم لنا اورغيزي أيضا روايات قصصية عديدة ومذكرات شخصية وبيانات هجائية وصفحات رائعة من النثر الساخر •

هنالك أيضا أدباء لهم مكانتهم الرفيعة ، مثلوا النثر في الحقبة التي تقع ما بين الحربين العالميتين ، ومن أهم هؤلاء الكتاب سيزار بترسكو ، وهر تنسيابابادات بنجسكو ، وايون اجيرد شيانو وكالاكلكسيون وجورج بلنسكو ، مع العلم ان هذا الاخير هو روائي وناقد • وفيما يتعلق بالمسرح يجدر بنا ذكر ميهيل سبيستيان وفيكتور ايون بوبا وكميل بترسكو •

الادب الروماني بعد تاريخ ٢٣ آب ١٩٤٤ :

على أثر تحرير رومانيا ، سجل الادب الروماني مرحلة جديدة في تطوره ، وقد شمل أدب ذلك العصر قضايا جديدة وصورا جديدة لحياة البشر • ومما يعني الكثير ان جميع الكتاب الناجحين في الادب الروماني والذين هم من الجيل المنصرم ، يبذلون نشاطا لا يقل رحابة عن نشاط الكتاب الناشئين •

ان تيودور أرغيزي الذي حاول طيلة نصف قرن ان يجيب في انتاجه الشعري على بعض القضايا الرئيسية التي تتعلق بالانسان وبالمجتمع الانساني ، انتهى به الامر في السنوات الاخيرة هذه الى نشر ديوانين من الشعر يتوجان انتاجه الشعري ويظهران بصورة واضحة مفهوم التاريخ المادي • ففي المجموعة الاولى وهي « نشيد لمجد الانسان » يحيي في سياق لحظات غنائية تاريخ الحساسية الانسانية وعلم النفس الانساني منذ العصور الاولى حتى أيامنا هذه •

أما ميهان بنيوك الذي بلغت موهبته نضوجها التام ، فقدم انتاجا شعريا قويا يشكل ملحمة حقيقية عن العصر

الحالي ، وتعبيرا عن تفاؤل الشعب الروماني الراسخ ، ودعوة الى القيام بكفاح جديد وتحقيق انتصارات جديدة .
أما ماريا فانوس ، فيتسم شعرها بغزل رحب وطاهر ، فقد طافت بنجاح الطريق الذي يؤدي من الشعر المنبعث من الصميم الى الشعر الذي يتغنى بلذة الكفاح والعمل والعيش من أجل قضية كبرى .

فلنذكر أيضا الشعراء ديمترو كوربيه ورادو بريانو ودان دسيلو وميهو دراكومير وفيكتور تلبور ونينا كسيان وفيرونيكا بورمباكو وأوجين فرونزا و أ . فاكونسكي و أ . اندرتسيو واستيفان لورس والمأسوف عليه لافيس الذين احتلوا مكانة يستحقونها كل الاستحقاق لاستكشافهم أكثر المجالات الشعرية تنوعا ولشعرهم الذي يجعل من التجربة التي نعيشها الآن صورا جديدة تحمل علامة السخاء والحماس المتدفق .

ومن جهة أخرى جاءت المساواة التامة التي تتمتع بها الاقليات القومية في جميع الميادين ، انتعاشا وتألقا الادب تلك الاقليات خلال السنوات الاخيرة هذه . فهنالك شعراء مجريون وألمان مثل امري هورفاتس وتسملر فرن والفريد مركول اسبربر وفرانز ليبهارت ، قدموا في السنوات الاخيرة هذه ، الطاقة الكاملة لمواهبهم .

هذا ، غير ان نصيب النثر من هذا التقدم والتوسع لم يكن بأقل منه من نصيب الشعر . فان زهاريا ستنكو الذي عرف في الماضي كشاعر وكصحفي ، قد خلق بكتابه « الحفاة » انتاجا رائعا من النثر الغنائي حيث يرسم بصورة مدهشة حياة ابن فلاح . اما روايته الاخيرة بعنوان « الجذور مرة » فهو يطرق فيها موضوعا أقرب الى أيامنا هذه . أما انتاج مارين بريدا وهو مؤلف اقصوصة واسعة بعنوان « في قرية » ومؤلف رواية « الموروميت » ، فيتسم بقوة خارقة في التحليل وبالمام تام بحياة القرية الحديثة .

أما الكاتب الناشيء تيتوس بوبوفيتشي ، فقد رسم في روايته « الغريب » لوحة متماسكة عن السنين التي سبقت تحرير البلاد . وفي روايته الثانية « الظمأ » ، عرض بوبوفيتشي صورة عن التغييرات الكبيرة التي أدخلت على القرية الرومانية بعد تاريخ ٢٣ آب .

وفيما يتعلق بالادب الدرامي ، أثارت مسرحيات ميهيل دافيدبلو وهوريا لوفينسكو واريل بارانكا ولوسيا ديمتريوس ومرشيا ستيفنسكو وآل . ميرودان ، اهتمام الجمهور لحداثة المواضيع المعالجة ولوحدة النزعات الدرامية ولنفحة الابطال المتفائلة ، هؤلاء الابطال الذين يعكسون بقوة واقع الحياة الجديد للشعب الروماني .

ان هؤلاء الكتاب ، اذ يكملون أفضل التقاليد عند الكلاسيكيين الرومان الكبار فهم يعبرون في انتاجهم الذي هو على تنوع كبير في الفنون والاساليب والذي يتسم بقيمة فنية رائعة ، عن رؤية عالم جديد ناتج عن تجربتهم الشخصية .

عامل جديد في الحياة الادبية الرومانية هو القارىء نفسه ، أصبح عدد هواة الادب اليوم يفوق بكثير عددهم في الماضي . فخلال السنوات العشر الاخيرة مثلا ، تم طبع المؤلفات الادبية بما يقارب (١٥٠) مليون نسخة . فان الرواية او كتاب الشعر ينشر في عدة طبعات تجمع أحيانا ما ينيف عن ماية الف نسخة مقابل خمسة آلاف أو عشرة آلاف نسخة في الماضي . واذ أصبح القارىء أكثر تطلبا ، فهو يعرف ان يقدر الانتاج الادبي الذي يعكس حياة الشعب الروماني الحاضرة والذي يتميز في تحقيقه بمستوى فني رفيع .



قصائد .. كانت سجينة !!..

شعر : سليمان عواد

- ١ -

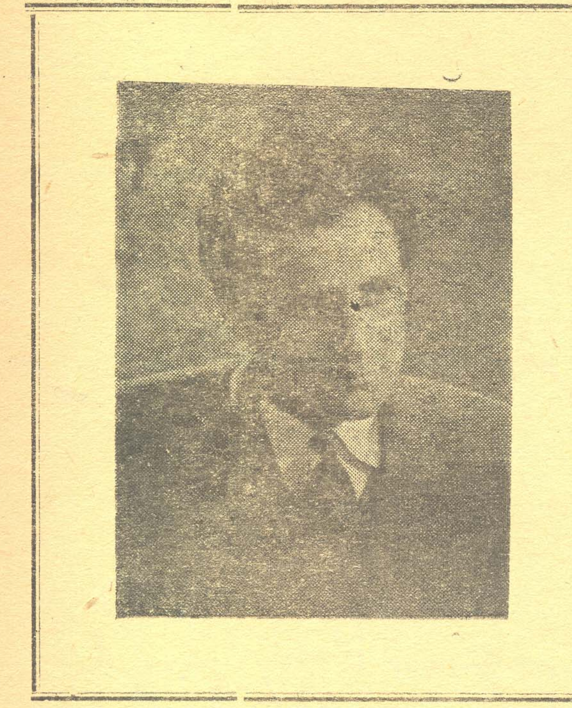
أرى النجوم لا تتفتح في السماء
زهرات تأمل ، حب ، وحنان
والقمر لا ينشر ضياءه الحلو
حمائم فضية
ذات هديل بلوري مسكر ..
النجوم أمست قطيعا من العبيد السكارى
بخمرة الذل والرعب والارهاق ..
القمر أمسى كهفا خرافيا
زاخرا بوهج معدن زائف
أما الشمس ، فغدت طيرا اسطوريا مزعجا
يعج بصفير البربرية والتفاهة !!..

- ٢ -

لا تحفر جبهتي يا زمان
صرت أكره ازميلك القاسي ..
في عيني نضب الف ينبوع
وفي قلبي جف الف نهر مبدع ..
وأنا كنت يوما ، قارة مزدهرة خضراء
تضم في جنباتها كل خصب ، كل طيب ..
لكني الآن أصبحت انسانا جريحا
لا يحمل في جوانب روحه
سوى صرخات مبحوحة
كصرخات نسر مهشم ..

- ٣ -

القطيع غادر المرعى ، مسربلا بثوب الهزال
لم تعد الشبابات تسكر الرعيان وصبايا القرية
الفلاح الحزين يبذر في الارض



نظرات اليأس .. والحسرات ..
هناك في المرعى الجديب ، كان لي كوخ
يرقص طربا تحت حفيف أجنحة الفراشات
ويبعث في روحي نيران أشواق هائلة
يهديها للحقول المسكونة ، بالنسائم المقطوفة
من جنائن الحب والحنان ..

* * *

.. اشرب الفراغ أيها القطيع بعد أن تركتنا الغيوم
اطعم الصغار زادا من ثرثرات
وأنا اليوم قابع في مرعى ،
لا يخدش سمعه صفير طائر
لا تنخس جبينه شوكة وردة
لا تخدر أجواءه رائحة معطرة ..

- ٤ -

آدم ، طرد من الجنة بعد أن أكل التفاحة المحرمة
وآدم القرن العشرين يدخل الى الجنة الارضية
من بابها الفسيح ، الموشى بألوان الورد والشجر
محفوفا بالطبول والزمور
بعد أن اقتلع بيده الحمراء كل غابات التفاح ..

* * *

وهذا القصر الرخامي بأعمدته المرمرية الزهرية
قصر الشهوات والغرائز الحيوانية
ترى .. من عمره .. من ركز دعائمه ورسخ اسسه ؟!!

* * *

يقولون : ان الطريق المؤدية الى هذا القصر الرهيب
مفروشة بجماجم الشهداء
باشلاء القتلى
بصراخ النفوس المحطمة ..

سليمان عواد

وجوه من المسرح العالمي

بقلم : الدكتور رفيق الصبان

سيداتي ، سادتي ،

ليست المحاضرة التي ألقيها اليوم .. محاضرة بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة .. قدر ما هي انطباعات سريعة عن بعض وجوه الدراما التي أثرت في نفسي تأثيرا خاصا .. فأحببت أن أنقل هذا التأثير اليكم بصورته الخام دون زخرفة أو صنعة .

ربما كنت مغاليا في اعجابي لبعض هذه الشخصيات .. وربما لم أف بعضها الآخر حقها الصحيح وربما كنت بعد هذا كله .. لم أبحث في كافة النواحي التي تصورها هذه الشخصيات .

ولكن عذري في هذا كله اني سأقدم لكم انفعالي صادقا .. عفويا .. كما أحسست به .. عندما عشت للمرة الاولى مع هذه الوجوه المسرحية التي أحببتها ..

سيداتي ، سادتي :

في شوارع ضيقة ملتوية .. تتجمع فيها بقايا الامطار مشكلة أخاديد حزينة .. كأنها التجاعيد في وجه امرأة هرمة . وأمام جدران بيضاء صامتة .. تلوح في أسفلها .. بقايا دماء حمراء .. بخرتها الشمس ..

ومن خلال أشجار غامضة جرداء تتلاعب بها الريح .. أمام منطقة منعزلة بعيدة عن ضوضاء المدينة .. اختار ثلاثة من أشهر كتاب الدراما في عصرنا الحديث أجواءهم ليعبروا بواسطتها عن قلق فاجع وعن مأساة الانسان الذي يود لو يصبح فراشة .. ولكن اقدامه المترهلة تجذبه جذبا الى هذه الارض الطينية القاسية التي تحدد حياته وتلونها وربما تعطيها طابعها الاصيل .

تنسي ويليامز في اميركا .. وتشيخوف في روسيا وغارسيا لوركا في اسبانيا .

عالم ينهار وعالم يبتدىء .. وعالم مغلق على نفسه يعيش أصداء ماضية وأحلام مستقبله .. ثلاثة من كتاب الدراما يتصفون بصفة واحدة غالبة هي الشاعرية المغرقة ..

الشاعرية في تصوير الحادثة .. والشاعرية في رسم الشخصية ، والشاعرية في تحديد الاطار . ولكن هذه الشاعرية ان كنا نراها لدى ويليامز شاعرية مليئة بدخان السجاير .. وبانغام الجاز الحزينة ، وبالمصابيح الملونة .. وبالحب الصارخ الجسدي .. فاننا نراها لدى تشيخوف شاعرية شاحبة .. شبيهة بهذه الاشجار الطويلة التي ترسم على الجدران السود .. ظلالا رهيبة كئيبة .. والتي تجعلنا نستمع أحيانا في سكون ليلة صيف مملة .. الى غناء بعيد لبلبل ربما كان يلفظ أنفاسه الاخيرة ..

أما اذا عدنا الى لوركا .. فشاعريته الاصيلة .. مستوحاة .. من خرير جداول الاندلس .. من ورودها الحمراء التي يشابه لونها لون الدم .. ومن هذه العيون السوداء الكبيرة التي تتكلم وتصمت التي تدفع وتمنع .. والتي تقف شامخة وقد غرقت بألم فاجع لا يوصف .

لا أعتقد اني أبحث اليوم بحثا علميا أو دراسة

فنية تفصيلية لفن هؤلاء المسرحيين قدر ما أرغب أن أتحدث حديثا عاديا اشرح فيه وجهة نظر خاصة في بعض شخصيات ومسرحيات هؤلاء الشعراء .. لذلك فاني لن أتطرق الى تحليل معنى الشاعرية في المسرح ودراسة خصائصها ثم أن أخوض في دنيا كل واحد من هؤلاء المسرحيين فأغوص في أعماق مسرحياته وأحلل وأنقب ثم استنتج كلمات باردة ومبادىء ربما كانت لا معنى لها ..

.. ان هدفي اليوم ان أعيش مع هؤلاء المسرحيين.. زمنا بسيطا أقدمهم فيه اليكم .. أقدم بعض شخصياتهم التي رسموها بدمائهم وأعصابهم وأحلل بعض مسرحياتهم التي أظنها تكشف لكم شيئا عن هذا الفن العريق العريق.. والجديد كل الجدة الذي يسمونه الفن المسرحي .

أول وجه كبير سأعرضه أمامكم هو (دونا روزيتا) بطلة مسرحية لوركا (لغة الزهور) لوركا .. شاعر ، وثائر وانسان .. يفهم كما لا يفهم غيره لماذا يتسلق ضياء القمر الشرفات المغللة بالياسمين .. ويصف كما لا يصف سواه .. كيف يلتمع الماء .. في أعماق عين فتاة تنتظر ..

ان عالمه اسود .. يشع بآلاف الانوار الخافتة .. ويمتلىء بهذه الاصداء العجيبة التي تحمل في طياتها صوت ارتطام السكين على الاحجار .. أو صرخة الام الثاقبة التي ترى وجه ولدها مكللا بالدم .

ودونا روزيتا وجه خاص في عالم لوركا .. هادئة شفافة .. تختلف كل الاختلاف عن بطلاته اللاتي نعرفهن .. تختلف عن هذه الام الجبارة الهائلة التي تبدو في مسرحية (بيت برناردا) عملاقة تتحدى الطبيعة في هذه التقاليد التي رسمتها لنفسها .. وتضع فتياتها في اطار أسود وحشي تمنعهن فيه عن الاحساس .. بدفء الجسد أو ترداد كلمة حب .

عالم برناردا عالم الاحجار السود .. عالم القمر الذي يختفي وراء السحاب الكئيب .. عالم الادراج التي تصعد هرمة .. الى غرف النوم المغلقة .. عالم السرير الابيض الذي يحلم برائحة الرجل .. وعالم الاغنية التائهة الحزينة التي يرددها شاب يحب .. امام النوافذ القاسية التي لا يشع منها نور ..

ولكن دونا روزيتا .. شاحبة شفافة .. لا تعيش في هذا العالم القاسي .. الذي تقال فيه الكلمة القاسية.. بنوع من التشفف والسعادة والنشوة ..

انها تحيا عالم الورود .. عالم الزهرة التي تنبت وحيدة وتموت وحيدة .. تنظر وهي في سجنها العتيق الى السماء الرحبة التي تحيطها .. وتشعر بقبلات العصفور الذي يقف على أغصانها .. وتحس بخلجات الاوراق الخضر التي تجاورها ..

انها تنمو وتنطلق مستمدة قوتها من هذه الآمال التي تنام هادئة رقراقة في أعماقها . وقصة روزيتا قصة ساذجة وبسيطة .. تحدث الوف المرات .. في قرى الاندلس البيضاء التي يخيم عليها جو مشرق مليء بالخضرة والتي تمتلأ في جوانبها أغاني الفلامنكو المليئة بالعاطفة والوعود .

روزيتا فتاة جميلة في ريعان الصبا أحبت شابا وهبته قلبها ونفسها وأمانيها وعاشت في قريتها حالمة سعيدة بأنها قد توصلت الى هذا الباب ذا المغلاق الكبير الذي يفتح على جنة لا حدود لها ..

ويترك الشاب القرية لسبب ما بعد أن يعد روزيتا بأنه سيعود .. وتبتدىء المسرحية لتروي سنوات الانتظار التي تعانيها روزيتا .. سنوات طويلة مملة .. مليئة بالنوافذ الصغيرة التي تكشف سهولا قاتمة جرداء .. وبالاصص الملونة التي تحيا فيها الورود سجينة تأمل أملا خفيا بالانطلاق .. ولكن جذورها تمسكها في التراب والطين ..

ان دونا روزيتا بكلماتها المزخرفة وأغانيها الكئيبة قصيدة مرة عن الزمن الظالم وعن الحب التعيس .. ان روزيتا لم تجد لنفسها نصيبا من الحب .. ولكن

كبرياؤها كانت تمنعها من الاقرار بهذه الحقيقة ونبلها وحرارتها كانت المانع الوحيد الذي يقف بينها وبين أن تموت ذلا . لذلك فالمسرحية ليست الا تحليلا لنزاعها الطويل على مرور السنين .. شبيهة بهذه الحديقة التي يعتني بها عمها .. والتي بدأت الاعشاب السامة تجتاحها عاما وراء عام .

فهذه الزهرة الرائعة التي بقي العم سنينا يرعاها.. لا تعيش الا يوما واحدا .. فهي في مقتبل الصباح زر صغير .. سرعان ما يتفتح في الظهر .. ثم تسقط أوراقه بكآبة فاجعة في المساء .

وهكذا تسير حياة ووزيتا .. ولكن روزيتا لا تموت في نهاية المسرحية .. بل تترك دارها لتختفي في أعماق السنين .. ولتمسح بلذة غريبة آثار الطعنات والاهانات التي تتلقاها كلما خرجت للنزهة من هؤلاء الشباب الذين يتمتعون بزهرة عمرهم هازئين بالعوانس مثلها اللواتي يطوين الفؤاد على الامل المستحيل .

اذا ما ارتفع ستار الفصل الاول .. فاننا نرى روزيتا شابة في مقتبل الصبا .. مخطوبة الى أحد الشباب الذين تزهو بهم المدينة .. بينما يقف عمها ساهما الى جانبها منصرفا الى العناية بحديقته الصغيرة بشغف يشابه العشق .. وها هي المربية تقف مع عمة روزيتا لتتحدث عن الحياة بصراحة عجيبة .. منددة بالسحاب الذي لا يمطر .. ومؤمنة بالارض التي تتشقق انتظارا لقطرة ماء ..

وتسير الحياة دون تعقيد .. هادئة .. رتيبة .. مضحكة أحيانا .. حياة كرقصة بالية بدائية .. لا أهمية فيها للكلمة .. ولكننا من خلال هذا الفصل كله .. نستمع الى كلمة واحدة تلقيها المربية هازئة ساخرة بكل هذه الورود التي يشع بها بستان العم .. والتي تذكرها بالمقبرة ..

انها تفضل الثمار .. الثمار التي تعني الخصب والحياة .. وهنا يبدو وجه روزيتا لاول مرة ساهما .. حالما .. وتتساءل بسذاجة .. ناظرة الى الأزهار .. الا يكفيها جمالها لتحيا .. باعثة الدفء والراحة والسلام.؟ وتجيبها المربية بضحكة رنانة تكاد تكون وقحة .. مليئة بمعاني غامضة تفهمها العجائز .. وتعجز عن ادراك معناها فتاة في سن روزيتا . وتبدأ المربية الماهرة بغناء أغنية حزينة دافئة من أغاني غرناطة تتحدث فيها عن لغة الزهور وهل الزهرة الا رمز للفتاة العذراء .. التي تنتظر المجهول ..

ويمر شبح غيمة .. خلال هذا الفصل المليء بالنور .. اذ يأتي الخطيب ليخبر روزيتا أنه سيسافر الى اميركا لاسباب عائلية .. وان غيابه ربما امتد الى سنوات عديدة .. ولكنه يرجو ويتوسل الى روزيتا ان تنتظره..

هذا المشهد العاطفي .. بين روزيتا المترددة الخجول .. التي لا تعرف كيف تفصح عن حبها والتي تنظر الى الورود مرة .. والى السماء مرات .. والى حذائها .. والى أثاث بيتها قطعة قطعة .. قبل أن تتجرأ لتلقي نظرة واحدة على حبيبها .. هو واحد من أجمل مشاهد العاطفة التي كتبها لوركا .

ويمر هذا المشهد الآسر الكئيب بين روزيتا وخطيبها.. وكأنه أغنية دافئة يغنيها صياد حزين يعود الى داره بعد عمل ساعات شاقة .. ويرسم لنا لوركا في مشهد الوداع هذا لوحة من لون شاحب لمدينة غرناطة اللامبالية .. ذات الالوان المتغيرة .. والاغاني التي تبتدأ على نغم الفلامنكو الحاد .. لتنتهي بنشيج صامت مختنق ..

فاذا ما ارتفع ستار الفصل الثاني .. نجد أنفسنا وقد مر على الحادث الاول أربعة عشر عاما ولا زال الخطيب بعيدا .. يكتب رسائل قليلة .. تحمل كلها .. رائحة الرماد .. والورد المحترق .. وها هي روزيتا أمام نوافذها تنتظر مرور ساعي البريد الذي يصل كل صباح وكأنه قدر لا وجه له .. يسلمها أحيانا قليلة .. سطورا لا تعني شيئا .. أو يعطيها في أغلب الاحيان .. ابتسامة رثاء .. ترن في نفسها كناقوس جنائزي .

ولكن رسالة اليوم تحمل شيئا جديدا .. لا زال الخطيب بعيدا .. لا يعرف متى سيعود ولكنه يعرض على روزيتا مع ذلك زواجا شرعيا .. يتم بالوكالة .. وتنفجر المربية مستنكرة هازئة .. ماذا تفعل الوكالة .. في السرير الفارغ الابيض الذي ينتظر الرجل !! ماذا تفعل الاوراق القانونية بجسد روزيتا الوردي الشاحب الذي بدأت تغزوه الظلال ..

وتنهال الكلمات القاسية كالطعنات من فم المربية أمام روزيتا التي لا زالت تقف ساهمة .. بعيدة عن الواقع .. وكأنما تحيا في حلم مستحيل .. أو على سحابة قرمزية يحملها أربعة أطفال مجنحين ..

ويسير الخبر في المدينة .. روزيتا تتزوج .. ويهرع المهنئون الى دار روزيتا .. فتيات في مقتبل العمر .. وسيدات عجائز .. وتمر الكلمات قاسية حينا .. لينة أحيانا .. وتتكاثر الضحكات والنوادر .. وتشعر كأن دمعا محترقا يود ان يسيل من عين متكبرة ترفض الدموع ..

ويهرع العم الى بستانه ويحتفل بزفاف روزيتا بان يقدم اليها أجمل وروده وردة في نضرة عمرها .. بيضاء ناصعة البياض .. نقية كالشباب .. ولكنها بيضاء أيضا .. كالموت ..

وفي الظلال .. وامام الجدران تقف المربية ساهمة تتأمل أمام العمة .. هذه المظاهر التي لا معنى لها .. وعندما تسألها العمة بشبه توسل عما تفكر .. تنفجر صارخة وكأنها تود الهرب من شيء ما .. (لا تجبريني على الحديث .. لا تجبريني على الحديث ، لا تجبريني على الحديث ..) وتتماسك العمة مجيبة اياها .. (اذن فاصمتي) ولكن المربية تندفع شارحة ..

(اتعتقدي أن ذلك منطقي ان يترك هذا الرجل فتاة مثلها تحيا منعزلة .. يجب ان تتزوج .. ان كفاي تؤلماني .. عندما ارتب كل صباح .. أغطية عرسها التي لم تمس وسريرها الصغير المحلى بالنقوش والتطريز .. عليها إن تستعمل ثيابها التي أعددناها لها عليها أن تستعملها .. انها لا تحس بهذا الزمن الذي يمر من فوق رأسها .. سيشتعل رأسها .. ويصبح مموجا كالفضة .. وهي لا تزال تجلس أمام نافذتها تطرز القمصان الشفافة التي سترتديها في الايام الاولى لعرسها .. ؟!)

وتجيب العمة بقسوة .. (ولكن لماذا تتداخلين بأشياء لا تخصك ..)

وتقف المربية مذهولة .. (انني لا اتداخل .. انني طرف في القضية رغما عني ..) .

وتسأل العمة وكأنها تستجدي الاجابة .. (ولكنني متأكدة .. متأكدة انها سعيدة ..) .

وتعطيها المربية الاجابة كالطعنة دون حراك .. (نعم .. هذا ما تتخيله ..) .

ويرتفع ستار الفصل الثالث .. بعد ان مرت سنوات أخرى .. لقد بلغت روزيتا الخامسة والاربعين .. توفي عمها .. وأصبحت عمتها امرأة عجوز قعيدة .. أما المربية فلا تزال كما عهدناها .. شابة كالثورة .. وعجوز كالمنطق .. يبتدأ الفصل .. والدار في حركة غير اعتيادية .. فالعائلة .. ستغير دارها .. وها هم رجال أشداء يدخلون الى هذه الدار المغلقة المليئة برائحة النعناع .. ويخرجون حاملين الاثاث .. وتبدأ الغرفة تتجرد .. كما يبدأ شبح الموت يسيطر على الدار العارية .. وتحس بالحديقة المهجورة التي تحيط بالمنزل .. وقد اجتاحها العشب المجنون .. والاوراق الفاسدة .. وفي لحظة من لحظات الانهيار .. تعترف روزيتا بكل شيء .. انها تعلم منذ زمن .. ان خطيبها قد تزوج في اميركا .. لقد اخبروها بذلك . ولكن كبرياؤها منعتها من الاقرار بمثل هذا الامر .. والتحدث عنه أو الاعتراض عليه .. وها هو الزمن قد تابع سيره .. وها هي قد أصبحت عجوزا .. أولادا جدد يأتون الى

الحياة .. بيوت جديدة تعمر وثيابها الانيقة حتى ثيابها الانيقة أصبحت بالية تضحك الشباب الذين يروها .. وتقسم روزيتا .. أنها لن تصبح أبدا كهاته العوانس اللواتي يرتدين الثياب الزاهية ويكرهن الصبايا والاطفال .. ولكن من يدري .. ماذا يخبئه الزمان .. ها قد آن أوان الرحيل .. ان السماء تمطر .. والريح تداعب دفات النوافذ مرحة هازئة .. ولكن لن يستمع أحد .. الى هذا النشيد الطبيعي الخافت .. لان الدار ستكون قفرا في الليل وتخرج النسوة الثلاثة .. ويبقى المسرح فارغا ..

في هذا الفصل تتأكد أفكار لوركا كلها .. وتظهر شاعريته بشكل وحشي سافر شاعرية الورود البيضاء المغسولة بالدم .. شاعرية النوافذ المغلقة .. والاعين التي تحدق في الظلام .. شاعرية الضحكة الخافتة .. والكلمة التي لا تقال ..

فها هي مثلا المربية تهمس لنفسها وهي تنظر الى روزيتا خاشعة صامتة في مقعدها .. (ان طبعي لا يحتمل ذلك .. اني لا أستطيع ان أرى هذه الاحداث دون ان أحس بقلبي يجري بين ضلوعي وكأنه كلب مطارد .. عندما دفنت زوجي كنت أشعر بالاسى .. ولكني كنت أحس مع ذلك في أعماقي بفرح غامر .. لا .. انه ليس الفرح بمعناه المفهوم .. ولكنه شعور بالنشوة .. من انني لست أنا التي يدفنونها .. وعندما ماتت حفيدتي الصغيرة .. شعرت كأنهم يدوسون بأحذيتهم على أحشائي . ولكن الموتى أصبحوا موتى .. لقد ماتوا وانتهى الامر .. لنبكيهم ثم لنغلق خلفهم الباب .. ولنعاود حياتنا المعتادة .. ولكن ما أصاب روزيتا هو أشد هولا من كل ذلك .. انها أحبت .. ولم تجد جسدا تحبه .. انها تبكي .. ولا تدري ماذا تبكيه ..

تتنهد حزنا على انسان نعرف انه لا يستحق منها التنهد .. انها خيط من الدم يسيل دون انقطاع من جرح لا زال مفتوحا .. وليس هناك انسان واحد .. انسان واحد في هذا العالم يأتي ليحمل اليها شيئا من القطن .. أو رباطا صغيرا .. أو حتى حفنة من الثلج .. علها تلأم الجرح ..) .

أما روزيتا .. فكلماتها تختلف عن كلمات مربيتها .. انها هذا الخيط من الدم الذي يسيل دون انقطاع .. حاملا مأساته .. شارحا اياها .. شاعرا بعبثها .. دون ان يستطيع لنفسه خلاصا .. تقول .. (ماذا أقول ؟ : هناك أشياء لا تقال .. لاننا لا نجد الكلمات التي تستطيع التعبير عنها .. وحتى لو وجدت هذه الكلمات .. فليس هناك من سيفهم معناها .. انكم تفهمونني حين أطلب ماء أو خبزا أو قبلة .. ولكن لن يمكن لاحد ان يفهم معنى هذه اليد المظلمة التي لا أدري أنا نفسي ان كانت تحرق قلبي أو تجمده كلما بقيت وحدي .. لا يمكنكم ان تفهموا معناها . ولا يمكنكم ان تنجوني منها ..) .

أو تعترف بكلمات عصبية شاحبة .. كأنها ضربات الخناجر على الاحجار البيضاء الملتهبة .. فتقول : (لقد تعودت منذ سنوات أن أحيا خارج نفسي .. ان افكر بأشياء شديدة البعد .. والآن وبعد أن زالت هذه الاشياء .. لا زلت أتابع الدوران حول نقطة واحدة في ساحة باردة .. مفتشة عن مخرج لن أجده أبدا .. اني أعرف كل شيء .. أعرف انه قد تزوج .. فهناك نفس طيبة تكفلت بابلاغي ذلك .. ولكني لا زلت اتلقى رسائله .. غارقة في وهم مليء بالدموع .. يثير دهشتي أنا نفسي .. لو لم يتحدث الناس .. لولم تعلمي ذلك .. لو كنت أنا الوحيدة التي علمت .. لغذت رسائله وأكاذيبه أحلامي .. شأني في السنة الاولى من غيابه .. ولكن الدنيا كلها أصبحت تعلم .. اني أحس وكأن الاصابع تشير الي .. وانهم يهزئون من تواضعي وسذاجتي .. حتى مروحة الفتاة التي أحملها بدأت تأخذ طابعا هازئا مخيفا .. كل سنة تمضي تأخذ من جسدي قطعة أخرى .. صديقة تتزوج .. ثم أخرى ثم أخرى .. واحدة تضع طفلا .. يكبر ثم يأتي الي حاملا نتائج امتحانه .. انهم يبنون البيوت الجديدة .. ويغنون أغاني جديدة ..

وأنا .. أنا نفسي لا اتغير .. أنا دوما أنا .. اقطف الزهور نفسها .. وانظر الى الغيوم نفسها .. وفي يوم من الايام .. نزلت اتنزه فوجدت اني أصبحت لا أعرف أحدا .. الصبية والبنات تركنني خلفهم لان السير يتعبني .. وصرخ أحدهم بوجهي (انظروا .. ها هي العانس ..) فأجابه الآخر .. وكان جميلا ذا شعر أجعد .. (يجب أن يكون المرء بطلا .. حتى يستطيع أن يقترب منها ..) .. وسمعت ولم أستطع أن أصرخ .. لم أستطيع أن أتقدم .. وشعرت بفمي يمتلأ أسى.. وبرغبة هائلة في الهرب .. بأن أخلع حذائي .. وان استريح.. والا أتحرك من مكاني بعد الآن .. أبدا ..)

ليست مسرحية دونا روزيتا بالنسبة لغارسيا لوركا .. خير مسرحياته .. ولكن فيها هذه الشاعرية الهادئة التي قلت عنها .. هذه الشاعرية التي نراها في كل جزء من أجزاء المسرحية .. في البستان المهجور .. الورود البيضاء .. النوافذ المغلقة .. نداء الدم .. ثم هذا الزمن الرهيب الذي نصارعه دون أمل .. ودون قوة .. هذه المعركة الكبرى التي ندخلها متكبرين .. شاعرين بهزيمتنا المؤكدة .. ومحاولين رغم هذا كله تأكيد انسانيتنا .

في ركن آخر من العالم .. عبر ويليامز عن شاعرية الزمن .. من خلال امرأة أخرى . شخصية هي ولا شك أحب شخصيات ويليامز الى قراءه .. وواحدة من أجمل ما رسمه المسرح الاميركي خلال فترة تطوره ونهوضه .. انها (بلانش ديبوا) بطلة (عربة يدعونها اللذة ..) .

بلانش أيضا امرأة قسا عليها الزمان .. لفها كما يلفها الليل والضباب وترك منها وجها هرما .. وعينين زرقاوين صافيتين لا تزالان تشعان كأنهما جدول صغير من الماء في ضوء القمر ..

انها كما تصف نفسها بياض الغابة عندما يظهر القمر .. امرأة عركت الحياة وفهمت مبادئها ولكن حساسيتها وبيئتها جعلتاها تفر من الواقع الذي اكتشفته لتختفي وراء اقنعة الدانتيل السوداء ووراء المصابيح اليابانية الخافتة .. والفراء ذي الملمس الناعم وان كان دود الزمن قد اكل رونقه وعنفوانه .

اذا أردنا أن نفهم شخصية بلانش فعلينا أن نعود الى صور سريعة لها .. رسمها ويليامز في بعض مسرحياته ذات الفصل الواحد واذكر منها (صورة للمادونا) و (كلمني كالمطر ثم دعني أسمعك) .. أما في المسرحية الاولى .. بلانش امرأة عجوز على شفا الجنون .. تعيش في غرفة حقيرة بفندق رخيص من فنادق نيواورليان .. تحدث نفسها وتحدث العالم عن عالم غامض كانت تحيا فيه .. وكانت تكلم النجوم .. ويأتي سكان الفندق لزيارتها والتفرج عليها وكأنها حيوان غريب المنظر يعرض أجزاء دموية من أحشائه .. ولكن هناك انسان واحد .. بدأ بشعر بصلة خاصة مع هذه السيدة الخريفية العمر .. هو عامل المصعد الشاب الذي يقف مراقبا بذهول وكآبة .. كيف تسخر الجموع من هذه المرأة .. وكيف تقف هذه المرأة بعد ذلك لا مبالية ضمن العالم الذي خلقته لنفسها .. مهيبة كأنها الملكة .. مذهلة بالمها وصفاءها ..

ولكن التسلية شيء .. والواقع شيء آخر .. والغرف الحقيرة مهما اشتدت حقارتها لها أجرة وثمن وهكذا يقرر صاحب الفندق طرد المرأة المسكينة من غرفتها مستخدما بذلك حيلة رخيصة تعتمد على أحلام هذه المرأة الغارقة في أوهامها .. اذ يخبرها أن هناك سيد في سيارة كبيرة يسأل عنها ليأخذها معه الى القارة العتيقة .. وترتجف العجوز وتهرع الى أغراضها الممزقة تحاول تجميعها ولكن النشوة تأخذها فتمنعها عن القيام بأي عمل .. ولا تجد أمامها الا عامل المصعد الذي يقف وبقايا دموع في عينيه تمسك بيده وتضعها على خدها متمتمة بذهول (.. ياصديقي .. ياأميري اعطني يدك.. ودعنا نهبط معا .. ستستطيع أن تنساي..فلاتقلق..علي ان أذهب .. ان عالمي يناديني .. أرأيت أرأيت انهم لا يزالوا يذكروني .. وانهم لا يزالوا يحبونني ..)

– البقية في العدد القادم –

جون ماسفيلد

تعريب : محمد يحيى الكيلاني

كتب جون ماسفيلد عن الدليل الذي هداه الى فهم حياته في قصيدة تسمى (ترجمة حياة انسان) (بيوكرافي) ظهرت عام ١٩١٤ في ديوان (الملك فيليب واشعار أخرى) ، فوصف بأسلوب جميل التجارب التي مر بها ، والتي يعتقدان المؤرخ اما أن يهملها أو ينكرها . وأكد أن الاشياء الاكثر أهمية ، هي تلك (اللحظات الذهبية والايام المشرقة السعيدة) . وكتب (أن موسم البذار يأتي قبل موسم الحصاد) . فكانت (اللحظات الذهبية للبذار المنثور) ، بواكير أيامه التي قضاها في البحر . وفيها ومضات من الجمال من علم ظهور (سفن المياه الهادئة) ، وعلاقات الصداقة التي بناها ، ولحظات الشجاعة الخارقة والعمل الشاق

كما كان يلمح في كل أقواله عن جمال الريف الانكليزي . ذلك هو وقت البذار ، وتلك هي التجارب التي كانت تهمه حقا ، والتي أكسبت انتاجه العاطفة والحساسية . قال : (ان الايام التي تسعدنا تجعلنا حكماء). ففي هذه الحالة لا بد لنا الا أن نعتبر جزءا لا يستهان به من انتاجه الادبي المتعدد الجوانب في حقلي الشعر والنثر .

ومع ذلك تبقى نسبة ملحوظة من انتاجه تدين بالهامها الى أيام أخرى ، رأى فيها ماسفيلد شيئا من (وحشية الانسان للانسان) .

من ذلك ، ومن اعتقاده ان الجمال يمكن ان يستشف في القبح ، كما يمكن ان يستخلص من (اللحظات الذهبية) . لم يقدم تفسيرا في شعره هذا . والتفاصيل القليلة من حياته المبكرة لا تهدينا الى دليل . ولد في تموز ١٨٧٨ في مدينة (ليدبوري) من



مقاطعة (هوفورد شاير) . ومن المحتمل أن يكون قد قرر في هذه المدينة الصغيرة الريفية الخالصة ، أن حب وفهم الطبقة البسيطة ، والارض الطيبة ، هي الاشياء التي كان عليه أن يعبر عنها بقوة في أشعاره بعد ذلك .

وفي ١٨٩١ غدا طالبا بحارا على سفينة التدريب (كونوي) . ثم قضى بعض الوقت في البحر ، حيث تعلم حب السفن الطويلة ، والرجال الذين يبحرون عليها . وكل اشعاره التي كتبها بعد ذلك بسنوات ، هي اقناع أكثر مما هي رغبة عميقة بأن :

اذهب الى البحر ثانية .. الى البحر المنفرد والسماء
وكل ما أطلبه سفينة طويلة .. ونجمة أهتدي بها ..
وارتداد الدولاب . وغناء الريح . ورفرفة الشراع الابيض ..
والضباب الاغبر على وجه البحر ، وانبلاج فجر باهت ..

ثم ذهب الى الولايات المتحدة وأقام بها • واشتغل في مصنع للسجاد • فاكتسب هناك على ما يبدو معرفة ليست باليسيرة عن وجه الحياة القاسي •

ثم عاد الى انكلترا ١٩٠٢ وأخذ يكتب قصصا وأشعارا لعدة صحف • وقضى بعض الوقت في هيئة تحرير (المانشستر غاردنيه) • يحرر زاوية متنوعات • ولكنه استقر نهائيا في لندن ليتحرر من الصحافة التي أشار اليها على أنها (سجنه) •

وفي أثناء ديوانه الاول (قصص المياه المالحة) • وفي عام ١٩٠٨ نشر قصته الاولى (كابتن مرغريت) • ثم نشر ١٩٠٩ أول تمثيلية له (مأساة نان) • وفي ١٩١١ أشهرته قصيدته الخارقة (الرحمة الابدية) فأكدت نجاحه • وفي الحرب العالمية الاولى ، اشتغل في وحدة للصليب الاحمر ، زارت الدردنيل والجبهة الغربية • ثم انتخب شاعرا للملك عند موت (روبرت بريدجز) ١٩٣٠ • فشغل وظيفته بصورة فائقة • وكان انتاجه الادبي واسعا ومن الدرجة الاولى ، فكوفىء على ذلك ، بمنحة (جائزة الاستحقاق) ، وهي أرفع مكافأة أدبية •

بعد وقت البذار يأتي موسم الحصاد الذي بدأ بعودة ماسفيلد الى انكلترا • واستمر قرابة نصف قرن بعد ذلك • فبقي كثير التنوع الفني ، وعالج كافة أنواع الادب • ولكن شعره وقصائده القصصية الموسيقية ، لها أكبر الفضل في تخليد ذكراه •

وديوانه الاول (قصص المياه المالحة) الذي ظهر ١٩٠٢ كان متأثرا فيه بأوزان وأفكار (كيلنغ) في ديوانه (قصص مهجع الجنود) ، وقصيدة (احدى قصص بوزان) وهي قريبة الصلة من (داني ديفر) أو (ماري غلوستر) •

ويوجد نفس التأرجح والروح الغنائية والوزن المتناسق مع ألحان الارغن • ولغة أحواض السفن وظهر السفينة • وكلها لها ما يقابلها في (مهجع الجنود) •

كما أن هناك نفس اللمسة الصادقة في التصرف بالكلمات ، التصرف الذي لا تمكن منه الا معرفة واسعة• ولكن هناك قصائد أقصر مثل (حمى البحر) و (أغنية ميداث) و (شرقي الرابية) •

أما ديوانه الثاني (قصائد وقصص شعرية) ١٩١٠ فقد عبر فيه بوضوح أكثر واسلوب خالد عن : النغمة الفردية الموسيقية الخالصة ، وعن شعور بالغ بجمال العالم •

انه كتاب اللحظات الرهيبة ، والحنين الى البحر ، وحب الريف العميق ، كما يرى في سحر الفجر والغسق وجمال المرأة ، وغموض :

« صرخة ألم طويل ••

في عيدان قصب مستنقع قاس » •

نلاحظ في كثير من هذه الاشعار القصيرة ، كما في كثير من قصائد ديوانه (تلال لوليخدون) ، أن خيال ماسفيلد يلتهب ثم يكبت بعاطفة غريبة • وفي قصائد أخرى ، نلاحظ أثر جهد محكم شديد ، واهمال شأن القافية والوزن ، واندفاعا غريبا الى احضان أشياء مطلقة كالزمان والجمال • فيغطي كلاهما الكثير من الاخطاء •

وكان اهتمامه بالمآسي العائلية ذا أثر سيء على قصائده القصيرة • وكان هذا الاثر ملحوظا في (لا انسان يأخذ المزرعة) ، أكثر من كل بقية شعره • وهي قصيدة قصيرة فيها سخرية مريرة من قصائده القصصية الطويلة، التي أوجدت له شهرته الواسعة •

يوجد في قصائده الاخرى واشعاره القصصية شيء يسميه (ماتو آرنولد) (الوقار المرتفع) • وهذا خدم تفكير ماسفيلد خلال فترة بين ١٩٠٢ - ١٩١١ حيث نشر في العام التالي أول ملحمة شعرية (الرحمة الابدية) • ومن الواضح في معالجة ماسفيلد لفكرة القصيدة الرزينة أنه بدأ ينظر الى الشعر على انه اداة لتدريس المثل الاعلى • وهي قصة توبة سكير كسول ، واقعية في تصويرها لشخصية السارق (سول كين) ، مقنعة في تصويرها لتحول قلبه • وتمتاز عبارتها بالوضوح

ومعالجة الموضوع مباشرة على صورة غير عادية • واستعمل (ماسفيلد) بها أبسط الاوزان ، وهو الوزن الثماني المقاطع • كما اعتمد على مزيج من الموسيقى والواقعية المغرقة لينهي عمله ببعض المشاهد ، كالشجار بين (سول كين) و (بيل ماير) ليلة السكر في (ليون) ، والسلوك الجامح لاهل القرية •

أما القارىء فانه لا يهمل تفاصيل كلمة بذيئة أو سلوك متوحش • ولقد سببت حرية الكلام هذه وقعا قويا في ١٩١١ ، فأثارت هذه الشهوة والوضوح التام والصراحة الطبيعية ، مناقشات حامية بين النقاد • ولكن هذه الميزات نفسها أدت الى نتيجة أعظم ، باستثارة انتباه رجل الشارع الى الشعر •

أعقبت (الرحمة الابدية) قصائد طويلة قصصية أخرى بنفس الاسلوب • فظهرت عام ١٩١٢ (أرملة في شارع باي) ، وتلتها (الرسام) ١٩٣١ ثم أعقبتها (حقول الزجس) في ذات العام •

أما الاولى والاخيرة فتقل قيمتها الشعرية كثيرا عن قصة (سول كين) • كما أن أفكارها أكثر انقباضا • ونجد في معالجتها هفوات للذوق وفجاجة في الفن ، لا يمكن أن توجد في (الرحمة الخالدة) •

وفوق ذلك فان الجرس الموسيقي الذي يرمق الواقعية في (الرحمة الخالدة) لا نسمعه في القصائد التي تلتها •

ولكنه عاد يتردد في القصة الجذابة (الرسام) • وهي قصة فنان يسافر بحرا ، ويبرهن على أنه رجل أمام عاديات الظروف •

أما نهايتها المثالية فقد صورت بانفعال يعرفه (ماسفيلد) حق المعرفة • فخلقه ثانية بمقدرة خيالية • وهي قصيدة يتسلط عليها البحر • فيظهر فيها مزاجه المتقلب بين الهدوء والعاصفة بشكل يدعو الى الاعجاب •

أما أفضل قصائده القصصية الطويلة ، فظهرت عام ١٩١٩ في (رينارد أو الثعلب) • فكانت أفضل انتاجه وأقله أخطاء • والضعف الذي كان الى فترة ما يشوه أشعاره الاولى اختفى الآن ، كما تختفي بشاعة وثقل فكرة (أرملة في شارع باي) ، وغباء الصور التقليدية التي تضعف (حقول النرجس) • فيهمل القارىء تلك الاسطر التي تبدو كتقليد لنفسه •

ولقد قيل ان موضوع القصيدة ــ وهو تمجيد اللهو بالدماء ــ خاطىء في ذاته • ولكن هذا النقد على كل حال يتجاهل حقيقة : (أن ماسفيلد كان بجانب الثعلب بقدر ما كان مع الصيادين وكلاب الصيد في الحقول التي تجولوا فيها • فكانت القصيدة نضرا حقا للتناسق الخيالي •

وقصة صيد الثعلب مقسمة الى قسمين : (ففي القسم الاول يكتب الشاعر وصفا حيويا للقاء • ويبعث الحياة في الصيادين ، بعدد من الصور الوصفية المختصرة الواضحة) •

أما في القسم الثاني : (فيرسم صورة لا تنسى للصيد ذاته ، كما يراه الثعلب • فنكاد نحس ألم رئتيه المنفجرتين عندما تشتد المطاردة ، ويعاد من حيلة يائسة الى أخرى ، وتلك اللحظات الرهيبة التي يجد فيها الثعلب أن أراضيه قد اصطيدت • غير أن الثعلب يهرب وتنتهي القصيدة كما يجب أن تنتهي بمشهد من الهدوء الشامل :

« والتمعت النجوم في سماء الشتاء
وهبت الريح حادة تحمل لذع الصقيع
واضطرب الجدول لان أشياء جديدة قديمة وجدت
وقد عاد الثعلب الى البيت واستلقى على الارض » •

ويمكن أن نعتبر هذه القصيدة صورة جميلة للصيد ومشاهدة ، ودراسة لفن صيد الثعلب ، ولكنها تعبر قبل كل شيء عن تأثر الشاعر بوحي الريف الانكليزي الجميل • ان الموسيقى التي أوحت للشاعر (رينارد الثعلب) هي المعين الحقيقي للمقدرة الخيالية في ابراز تمثيلياته (مأساة فان) ١٩٠٩ •

وتدور حوادث هذه المأساة العائلية حول ابنة ريفي شنق لسرقته الماشية • فعاشت مع عمها وعمتها (السيد والسيدة بارغتر) •

فرح تغتج (١)

شعر : أسعد علي

أمل تمجد في الخيال ، وخاطر
ومحاجر الامجاد ترقب فجرها
وتلملم النور المحجب ، وانتخى
هي صرخة النصر العريق ، تعيدها
هي صيحة الحق المغني أمتي
شرب الاذان من الصباح ضياءه
هذي المآذن يا بلال فغنها
جفت مدامعها السماء فلم تعد
غربت عواطفها وغاب حنانها
ألنبرة التوحيد حول جداولي
أنا لا أشك الرمل يزهر بالحيا
« موسى » ترفقت المياه بخافق
اسطورة عن « زمزم » يزهو بها
دعني وأهوائي لطيف شدني
أمل يرفرف في سماء عروبتي
دعني لاحلامي ، ودع أسطورتي
وملاعب الاطيار شوق رياضها
غفي الشباب على جفون طفولة
أحقائق ؟ روحي تغني ، زورق
أيام نحن الصاعدون جبالنا
أيام نحن الخائضون بحارنا
و « لخالد » عند الشروق زئيره
واليوم أحسب أمتي نهضت على

عبر الظنون ، ولهفة وتشوق
ويذيب ، أجفان الظلام ، محدق
ثأر الضياء ، على البيارق يخفق
في مسمع الدنيا نسورك ، جلق
حرية للعرب فيها المشرق ..
يا مرحبا « الله أكبر » تشرق
من صادق التوحيد فجرا يصدق
خصبا بأكباد الثرى يتدفق
فمدامع الدنيا لظى تتحرق
عطف السماء ، وغيثها ، اذ يغدق ؟..
والصخر نعم العاطف المتصدق
صدق الوفاء ، بحبه يترفق
ثغر الرمال وعين « مكة » تنطق
بجوانح الاحلام راح يحلق ..
علما يعيش به السلام ويرزق
أكمام ورد بالعبير ستنطق ..
والتائقات الى الربيع تزقزق
عبقت بلهو في البيادر يطلق
في لجة الذكرى يهيم ويطفق ..
في منكب الامجاد ولا نتشدق ..
و « لعقبة » ليل الخضارم مشرق
بالغرب « طارق » يدق ويطرق
هذا الحداء وللشباب تسابق

(١) القصيدة من ديوان « أغنية الحرية » .

عظمت دمشق على الزمان ولم تزل ⁂ في الشرق ذاك الجدول المترقرق ..
مرت عليه الحادثات ولم يزل ⁂ متوثبا في كل خير يدفق
والصرح ما رفعت دعائمه على ⁂ حب البناة ، الصرح لا يتشقق
أدمشق ما رفع اللواء على الخلو ⁂ د ، فأنت في طياته ما يخفق
بردى وأنت على الزمان قصيدة ⁂ في عريها تكسو الاباء وتورق
تزهي الزهور على الضفاف وكم فتى ⁂ حول الضفاف الخضر ، صب ، يعشق
سورية جبل الخلود ، ملاعب ⁂ للمجد ، للمثل العلية منطق ..
جلت مفاتن موطني ، أسطورتي ⁂ أكمام ورد بالعبير ستنطق
يا رب عطشى لا نزال فروننا ⁂ من وحدة عربية تتدفق ..
من خافق يأبى الهوان وهمسة ⁂ لمكارم الاخلاق ما تستنشق ..
نسجت على حطين موثق أمتي ⁂ ولقاء اخواني ، وعاش الموثق
أيقين قلب يا ظنون بعالم ⁂ من نشوة الاحساس ما يسترزق ؟
من مهجة الاسرار في غار الغيو ⁂ ب ، يفك أغلال الخفاء ويطلق
أنا لا أرى ذاتي ، ضياع قد تعثر ⁂ بالطيوب فراح منها يهرق
لمس الورود أثار بعضا من يقيني ⁂ فانبرى أمل النشاط يفتق ..
هذي العراق ، ومكة ، وبيثرب ، ⁂ والقدس ، هذا الفاتن المتأنق
والمغرب الدامي ، وأين جراحه ؟ ⁂ شفيت بآس حاذق يترفق ..
هذا الطبيب رسول خير للعروبة ⁂ لا ينافق بالهوى أو يمرق
دمع الفرات ، ودمع دجلة ، ماؤه ⁂ والنيل ، بل بردى ، عليه ترقرق
وحنان « أرز » ، أو أسى « أردنه » ⁂ نعم الطبيب الراحم المتفوق
لم يبق جرحي ، بالفحيح ، يقض مضجع ⁂ والديَ ، عبر الدجى ، ويؤرق
ويثير اخوتي الصغار على التي ⁂ ولدت فؤادي للاسى يتمزق
أمي ..! وألقيت العصي وطرت من ⁂ فرحي أكاد ببعض دمعي أغرق
أمي ترفرف بالحنان جوانحا ⁂ وأنا وأخوتي الاحبة نسبق ..
أهلا « محمد » يا حبيب ، ومرحبا ⁂ « عيسى » ، ومرحى يا بني تحلقوا ..
ذاب الجليد . وكحلت شمس السما ⁂ أرضا بنور الحق خيرا تغدق ..
أرضي وفتحت الجفون على الثرى ⁂ فاذا الربيع ، ربيع قومي رونق
هذي بلابل أمتي ، ونسورها ⁂ برياضها ، وجبالها تتأنق
هذا لواء النصر في أدواحها ⁂ علم يرفرف بالخلود ويشرق

« أسعد علي »

من تاريخ تشيكوسلوفاكيا

لقد وجهت تشيكوسلوفاكيا على ضوء ما تعلمته من التاريخ وما تستلهمه من حاجاتها ومصالح الشعبين التشيكي والسلوفاكي سياستها الخارجية منذ الحرب العالمية الثانية باتجاه البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي . ولم تغفل عن السهر على زيادة علاقاتها من كل نوع مع بقية الدول مهما كان نظامها الاجتماعي وهي تأخذ بذلك بمبدأ التعايش السلمي الذي ينبثق من جذور سياستها الخارجية شريطة أن تراعي تلك الدول شرطا لا غنى لها عنه وهو : الاعتراف بتساوي الحقوق وعدم التدخل .

ولقد حققت تشيكوسلوفاكيا نجاحات هامة في علاقاتها بمختلف بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ولقد كان لها مع بعض هذه الدول في السابق علاقات اقتصادية وثقافية ولكنها لم تكن على مثل هذا الاتساع . لان الامر كان مرتبطا بتطور هذه الدول وتطور تشيكوسلوفاكيا ذاتها . وهنالك عدد من الدول الآسيوية والافريقية لم تحقق سيادتها السياسية الا في حقبة السنوات الاخيرة وهي تنمي قليلا قليلا اقتصادها متى تصل الى قمة الاستقلال في هذا الميدان . فهي تحاول ، كيما تنجح ، أن تنتصر على تخلف اقتصادي نشأ منذ كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة .

انها بحاجة لتنمية علاقاتها مع دول أقوى ذات اقتصاد متقدم حتى متى تيسر لها المادة الضرورية لصناعتها وحتى تشتري انتاجها .

ان تشيكوسلوفاكيا تلعب في هذا المجال دورا هاما . لان شعبها الذي ورث تقاليد أجيال من النضال للوصول الى تحرره الوطني يستطيع فهم جهود الشعوب الاخرى الطامحة للحرية والاستقلال .

لقد كانت تشيكوسلوفاكيا نفسها قبل الحرب تعاني وضع الدولة غير المستقلة بالنسبة للدول المستعمرة وكان اقتصادها خاضعا لنفوذ تلك الدول فلم تكن في حال تمكنها من عقد علاقات ترعى المصالح المشتركة بينها وبين دول تتطلع الى تحررها . ولكن الاحوال تبدلت بعد ١٩٤٥ .

لقد دعمت تشيكوسلوفاكيا ما استطاعت دائما في ميدان المؤسسات العالمية هذه الدول كلما قامت مفاوضات أو مؤتمرات . وهي من جهة ثانية لها نفس المصلحة في تثبيت ودعم السلام . ولهذا رحبت بمبادىء التعايش السلمي الخمسة التي أعلنها مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ .

ولقد أقامت علاقات دبلوماسية مع كل الدول المتكونة حديثا . واجتهدت في أن تقوي هذه العلاقات المتبادلة في حقلي السياسة والثقافة وخاصة في حقل الاقتصاد الذي تثبت فيه وضعها ونشأ لما بعد الحرب . لان نمو وتبدل انتاجها الصناعي يمكننا من أن تعطي للبلاد الاقل منها تطورا اقتصاديا في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية الانتاج الذي هي بحاجة اليه : كالآلات الميكانيكية وبناء المعامل الكاملة ـ كما أن انتشار الصناعة التشيكوسلوفاكية وارتفاع مستوى الحياة فيها تجعلها تزيد في استيراد المواد الاولية التي تصدرها هذه البلاد . ولا بد لنا من أن نضيف أن تشيكوسلوفاكيا تساعد في استقرار اقتصاد تلك الدول بعقود الشراء الطويلة الاجل التي تعقدها معها والسلف المؤجلة الدفع .

وهي في ذلك تساعد مساعدة بعيدة عن أية نزعة سياسية كثيرا من الدول ذات الاقتصاد المتخلف في حماية أمنها من التهديد ومن محاولات الانتقاص من استقلالها.

لقد ارتفع رقم التبادل بين تشيكوسلوفاكيا والدول

الأقل تطورا بين سنتي ١٩٥٣ و ١٩٥٩ من ٩٠٤ الى ٢٤٥٨ مليونا من الكوردنات منها ٤٠٪ مع دول غير اشتراكية .

ان تشيكوسلوفاكيا تقدم للهند مثلا مراكز كهربائية حرورية وتساهم خاصة في بناء مؤسسة صناعية كبرى في رانش (دولة بهار) ستساهم في رفع الانتاج الهندي من الحديد الصب الى أربعة أضعافه وترسي قواعد الصناعة الثقيلة فيها حسب برنامج السنوات الخمس الثالث ولقد قدمت لاندونيسيا معمل مطاط يضمن ٢٥٪ من حاجة البلاد لهذه المادة . واعطت لمصر وسورية تجهيزات لصناعات الاسمنت وتكرير البترول وغيرها . ولقد أعطت الى عدد كبير من البلاد المتخلفة تجهيزات معامل كثيرة من بينها معمل تقطير في الارجنتين يعتبر من أكبر معامل العالم . هذا عدا عن سيارات الشحن والتراكتورات والآلات الزراعية .

ولقد رأت تشيكوسلوفاكيا أن المساعدة العلمية والتقنية هي في غاية الاهمية فأرسلت اختصاصيين مهمتهم أن يدربوا من جهة العمال المحليين على استخدام الآلات التي سلمت اليهم وعلى أن تعرفهم من جهة أخرى على آخر نتائج العلم والتقنية التشيكوسلوفاكية . ولقد خصصت كراسي اختصاص لطلاب يأتونها كل عام كما أنها تقدم المنح للطلاب القادمين من البلاد المتخلفة . ولقد وضعت تشيكوسلوفاكيا ثلاثين منحة تحت تصرف الامم المتحدة للبلاد غير المستقلة وحدها .

ان العلاقات الاقتصادية ، على تنوعها ، بين تشيكوسلوفاكيا والبلدان الآسيوية والافريقية وبلدان أمريكا اللاتينية لا تضعف بل تزيد العلاقات الاخرى . ان تعاونها معها يدعم المبدأ الذي أخذت به البلدان الاشتراكية وهو التعايش السلمي لان التعاون الاقتصادي يؤدي اقامة علاقات سياسية وثقافية ليست أقل أهمية من تلك . وليس أدل على صحة ذلك من الزيارات المتعاقبة في السنوات الاخيرة التي قامت بها الشخصيات الهامة في تلك البلاد التشيكوسلوفاكية والعكس بالعكس والمفاوضات التي جرت والنتائج التي حصلت . ولقد استقبلت تشيكوسلوفاكيا نهرو رئيس وزراء الهندورئيس جمهورية أندونيسيا سوكارنو وممثلي اتحاد برمانيا وكامبوديا وبلادا آسيوية أخرى رد لها رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا الزيارة سنة ١٩٥٨ في سياحة كبرى بها قام بها الى جنوب آسيا وتلته بعثة برلمانيةفيأوائل١٩٦٠ . كما أن العاصمة التشيكوسلوفاكية استقبلت زوارا آخرين من قارات أخرى . لقد رحبت بلدان أفريقيا التي بدأت تستيقظ في تشيكوسلوفاكيا الصداقة والعون . وشهد على ذلك زيارة امبراطور الحبشة هلاسلاسي الاول سنة ١٩٥٩ وزيارة سيكوتوري رئيس جمهورية كينيا في نهاية نفس السنة . كما أن بلدان أمريكا الجنوبية التي تريد أن تنشىء علاقات على قدم المساواة تهتم أكثر فأكثر ببلادنا ولذلك تعددت الزيارات البرلمانية اليها : ففي سنة ١٩٥٩ جاءت بعثة من كونغرس جمهورية كولومبيا ونواب من البيرو والبرازيل وبعثة من جمهورية الاوروغواي . وقامت برد هذه الزيارات بعثة من المجلس الوطني التشيكوسلوفاكي الى عدة دول من أمريكا الجنوبية والوسطى في نهاية عام ١٩٥٩ .

(للبحث صلة)

المواطن رابندرانات طاغور

بقلم : س . ك . غوبتا

يحتل رابندرانات طاغور مكانة فريدة في الهند الحديثة . لقد ولد في عائلة يستطيع فيها ان يمارس حياته الوطنية بانطلاق وحرية تامة . لقد كان جده دوار كانات راعيا عظيما للعلم والفنون وصديقا حميما لراجارام موهان روى . وكان أبوه ماهاريش من كبار المصلحين الاجتماعيين وكان آخر من افراد عائلته أحد رواد أحياء الرسم الهندي . ان ميراثه الثقافي الدسم من أجداده مقترن بمواهبه الشخصية جعلت منه عبقريا فذا ارتفعت به الى القمة في الشعر والكتابة والقصة والتأليف الموسيقي وكانساني ومواطن حر . وبينما جاءت الكتابة الى طاغور بصورة تلقائية كان مصدر وحيها دائما ينبعث من روح الانسان ومن رسالة صانعنا الى جميع الجنس البشري . وكلما ازدادت به السن كان يزداد ايمانه بأن رسالة الاله لا يمكن تفهمها تفهما صحيحا الا عن طريق الحرية والعدالة الاجتماعية . وكان هذا الادراك يلازمه طوال حياته وكان القوة الدافعة لجميع معالجاته لمشاكل الهند الثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية . ولم يكن طاغور وطنيا محدودا وكان يفهم الحرية بأنها ملك لكل طبقة دين دون اعتبار العرق أو الجنس . ولهذا السبب رفض بشدة أثناء فجر النضال في الهند ان ينضم الى حركة تقسيم البنغال . وكان يؤمن ايمانا قويا بأن استقلال الهند سيبنى على الرمال اذا لم يبن على أسس تمح الظلم الاجتماعي من المجتمع كالمنبوذين وزواج الاطفال وانكار حقوق المرأة وغيرها . ان هذا المرض في الحركة الوطنية عولج عندما انضم المهاتما غاندي وجواهر لال نهرو الى حزب المؤتمر الهندي . وعندما تسلما مقاليد ادارة الحركة السياسية اطمأن طاغور اطمئنانا تاما على ان حلمه بالهند الحرة محقق لا محالة ، وان الشعب الهندي سيصبح قادرا على التفتيش عن ميراثه الذي سيمكنه من احتلال مكانته اللائقة في العالم .

ورغم ان طاغور لم ينتم الى حزب المؤتمر رسميا فانه جند طاقة قلمه الجبارة في الحركة الوطنية وهكذا لم تخذله نبؤته « الآن فقط بدأنا نقدر بأن الميراث الذي استطعنا الحصول عليه تحت لواء هذين الزعيمين مكننا من ان نأخذ مكاننا الصحيح في العالم . » ورغم ان الشاعر طاغور كان يعبر عن معتقده السياسي على نطاق واسع بالقلم وجدت وطنيته منفذا آخر لها في أعمال أخرى . ان قيادته للحملة ضد التقسيم في البنغال وتهجمه على مظاهر الغطرسة التي كانت تلازم الحكم البريطاني وباستنكاره لكارثة جالينا والا باع ورده المفحم على تهجم الآنسة رانبونو على نهرو وعلى حزب المؤتمر أثناء الحرب الاخيرة ، ما هي الا بعض مناقبه الوطنية الكثيرة . ان أكثر خدماته للحركة الوطنية كانت عن طريق كتاباته ، سواء أكانت شعرا او نثرا او غناء ذلك الانتاج الضخم الذي الهب المشاعر الوطنية في الشعب . ونقتطف هنا ما قاله طاغور على لسان قصتة الوطنية الرائعة (غورا) .

« اليوم حقيقة انا هندي ، اذ ما عدت أشعر بأن خلاف بين الهندوسي والمسلم والمسيحي ، ان كل طائفة في الهند طائفتي . ولنرتل معا ترنيمة مانترام الالهية ، التي تخص الجميع الهندوسي والمسلم والمسيحي والبراهمي على السواء . ذلك الاله الذي ليس مجرد اله للهندوس بل اله الهند ذاتها . »

وفي رسالته الخاصة التي بعث بها الى المحاربين من أجل الحرية ، يقول : ايتها الشعوب الناشئة هيا ، اعلني

الحرب من أجل الحرية ، ارفعي راية الايمان الذي لا يقهر ، وابني من جسومك جسرا عبر الارض المتنائية الملعونة بالكراهية والحقد ، ولنمض الى الامام .

وقد نخص بالذكر أيضا أغنية طاغور الشهيرة جانا مانا ادهي ناباكا ، التي أصبحت فيما بعد النشيد الوطني الهندي . ويمتاز هذا النشيد بانسانيته الشاملة وعدم تقيده بالحدود الانسانية الضيقة وعدم التغني بالامجاد والفتوحات ، ذلك النشيد الرائع الذي يمجد العقل البشري والحب والجمال . وفيما يلي ترجمة هذا النشيد الى اللغة العربية :

تباركت يا محرك العقل البشري ، يا من بيده مصائر الهند . باسمك تعمر قلوب الناس في البنجاب والسند وفي جوجارات وماراثا وفي الدرافيد واوريسا والبنغال، بين الوديان والجبل في فيدهيا والهيمالايا يتردد ذكرك بالموسيقى المنبثقة من نهري يامونا وجانجا ، يمتزج اسمك وبه تتنفس الامواج في بحر الهند ، كلها تسبح بحمدك وترتل آلاءك ونعمك ، أنت يا من يهيمن على مصائر الهند المجد ، المجد المجد لك .

وكان طاغور أميرا بين اولئك الرجال الذين استوحوا وطنيتهم من أنبل وانقى المثل الانسانية ، فكانت وطنيته لا تتقيد بالقومية ولا تحدها الاقليمية الضيقة ، وكانت فكرته في الهند الحرة او بالاحرى في العالم الحر قد سكبها في رشقة شعرية بديعة في جيتنجالي ، اذ يقول :

هناك حيث العقل لا يتهدده الخوف وحيث الرأس ينتصب عاليا .

هناك حيث المعرفة حرة ، هناك حيث لا تجزىء الاسوار المحلية الضيقة ، العالم الى قطع صغيرة :

هناك حيث تنبع الكلمة من أعماق الحقيقة

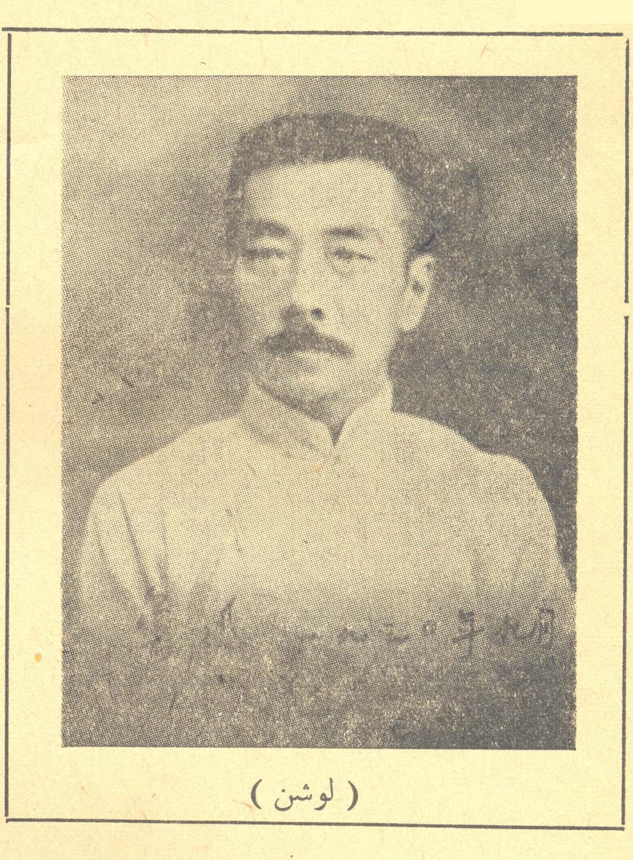
هناك حيث يمد الجهد الدائب يديه نحو الكمال

هناك حيث جدول العقل النقي لم يضل طريقه عبر رمال الصحاري القاسية للعادات الميتة .

هناك حيث انت تقود العقل الى فكر دائم الاتساع دائم العمل ، يا أبي في سماء الحرية تلك ، دع بلادي تستيقظ .

زكريات لوشن

بقلم الكاتب الصيني : فو يواه

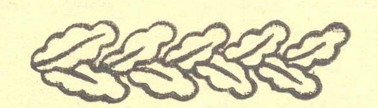


(لوشن)

قابلت لوشن لاول مرة في عام ١٩١١ وهي السنة التي القى فيها بسلالة تشينغ من على كرسي الحكم . وقد عين مديرا للمدرسة الابتدائية في شاوشنغ حيث كنت تلميذا هناك . وكغيري من الطلاب الآخرين حصلت نتيجة لذلك ، على قدر كبير من التثقيف والارشاد على يدي لوشن . ولما كنت انا رئيسا للفصل فقد اتيحت لي الفرصة ان اكون على اتصال به اوثق من غيري من الطلاب . غير انه ما لبث ان استقال . وبعد ذلك بوقت طويل علمنا انه عندما سلم لوشن المدرسة لخلفه ، لم يكن في صندوقها اكثر من عشرين يوان . اذ ان الحكومة لم تعط المدرسة مالا لمدة من الزمن وهذا ما جعل الامور شاقة جدا على لوشن في الابقاء على المدرسة تسير وحدها .

وفي عام ١٩١٢ ذهب لوشن ليشتغل في وزارة المعارف ويحاضر في جامعة بكين . وبعد بضع سنوات أصبحت طالبا في جامعة بكين وقادرا ان أدرس على يديه ثانية ، وعندما تركت الجامعة فيما بعد وبدأت اشتغل دأبت على زيارته بين حين وآخر وفي بعض المرات كنت ابقى عنده لتناول الطعام والتحدث معه ، كان لوشن يعاملنا كلنا نحن الشبان على قدم المساواة غير ان لطفه كان يملي علينا الاحترام وكنا ننظر اليه كوالدنا ، فكان يتكلم معنا بمنتهى الحرية ، في جميع المواضيع الماضية والحاضرة ، وقد افدت كثيرا من التحدث اليه ومن تعليقاته على الاحداث اليومية ، وتعلمت كيف يجب على المرء ان يتصرف ، ان محياه الشاحب المطلق وكلماته التي تزخر بالحكمة كل ذلك لا يزال مطبوعا في ذاكرتي . ان ثورة عام ١٩١١ التي قلبت سلالة تشنغ اوهمت الناس ان الثورة قد نجحت ، ومع مرور الزمن بدأوا يرون بوضوح حقيقة ما حدث ، فالجمهورية التي انشئت لم تكن سوى واجهة تخفي وراءها نظام الحكم الاقطاعي دون ان يكون قد طرأ عليه أي تغيير أساسي ، وفي الوقت نفسه فان الحروب الضارية التي كان يقوم بها سادة الحروب استمرت تزداد شدة ووحشية ، لذلك أخذ لوشن يشعر بالحزن والكآبة وقد تكلم معي اكثر من مرة عن الثورة. وكان مقتنعا ان السبب في وصول ثورة عام ١٩١١ الى هذه النتيجة هو ان الثائرين لم يربطوا أنفسهم بجماهير الشعب ولم يقوموا بأي عمل لاثارة الحماس او للدعاية للثورة بين الجماهير ، ومع ان التذمر كان بالغا مداه بين جماهير الشعب التي كانت تواقة للثورة ضد الحكام

الرجعيين الا انهم لم يهتدوا الى الطريق الصحيح ، وهكذا انجزت الثورة مهمتها اسما فقط ، وقد سبب ذلك الحزن للثائرين ، وعندما كان لوشن يتكلم في مثل هذه الاشياء كان يتنهد من أعماقه ويضيع في تأملاته وأفكاره. علمت فيما بعد ان لوشن كان يفكر كثيرا في ذلك الوقت وهو يقوم بالدراسات والتحاليل الواعية للمجتمع الصيني والحياة الصينية ويلتمس طريقه بأصرار كي يرى ما في أعماق روح الشعب الصيني . ادرك ان الشعب الصيني في ظل نظام نصف اقطاعي ونصف استعماري يعيش صامتا يذوي ويموت مثل الاعشاب التي تسحق تحت حجر كبير . وهذا ما جعله حزينا وساخطا ، وهكذا اتخذ له من التعساء في هذا المجتمع موضوعا الى ابحاثه فوصف طيبتهم وحظهم السيء وضعفهم وعاداتهم الرديئة، كان هدفه الكشف عن حقيقة المرض كي يمكن علاجه لقد توقع ان يستيقظ الناس وعمل جاهدا في سبيل اثارة حماسهم ، وفيما بعد تخللت هذه الافكار الكثير من قصصه ومقالاته . وفي عام ١٩٢٠ بدأت في تحرير في ملحق جريدة ، (اخبار الصباح) في بكين . كان لوشن في ذلك الحين مساهما منتظما ومهما في ذلك الملحق . كانت كتاباته تحتوي على المقالات والقصص والترجمات . ان معظم مقالاته في مجموعة (الهواء الحار) وطرفته (قصة آه كيو الحقيقية) التي سببت ثورة هائلة في أوساط المثقفين نشرت جميعها اولا في هذا الملحق . وقد استعار اسم « باجن » الى قصة آه كيو الحقيقية . التي نشرت تباعا مرة في الاسبوع او في الاسبوعين من الرابع من كانون أول عام ١٩٢١ الى الثاني والعشرين من شباط من عام ١٩٢٢ . لقد كانت من أروع القطع التي اتيحت لي فرصة معالجتها كمحرر . عندما استملت الفصل الاول من قصة آه كيو الحقيقية استطعت ان اتحسس ان نقده النافذ لكثير من مظاهر المجتمع وتهكمه اللاذع تماما مثلما كنت أشعر عندما أقرأ مقالاته الاخرى . الا انني لم استطع في بادىء الامر ان استوعب معانيها العميقة . وبعد ان كتب الفصلين الثاني والثالث بدأت أدرك تدريجيا التصويرات العظيمة في هذه الرواية وعمق أفكارها . كان آه كيو نموذجا حيا للجماهير التي كانت ترغب في الثورة الا انه لم يكن عندها الفهم الحقيقي للطريق الثورية الصحيحة التي كثيرا ما كلمني عنها لوشن خلال السنوات الماضية ، كان آه كيو نموذجا أصليا للمضطهدين والاذلاء الذين كان لوشن يشعر على حسابهم بغاية الحزن والسخط . في هذه الطرفة الرائعة سكب لوشن عطفه العظيم وحبه المتناهي نحو وطنه وشعبه . وهكذا ففي كل مرة كنت أتسلم فيها جزءا جديدا من تلك الرواية تتحرك مشاعري وارتبك واشعر وكأني امسك بكرة من الحمم الذائبة التي تئز بين يدي ولا أشعر بالراحة الا بعد ارسالها للطبع . وبعدها كانت تنهال علينا كميات كبيرة من رسائل القراء وتظهر تعليقات وانتقادات في مختلف المجلات . وكانت هذه الرسائل والتعليقات في معظمها تكيل المديح الحماسي عدا بعض الناس الذين سارت أعصابهم على آه كيو . ولاعتقادهم ان القصة كانت تهكما عليهم لذلك حاولوا ان يعرفوا الكاتب ليحتجوا عليه . عندها أدركت ان هذه القصة قد أثارت سخط العديد من الرجعيين لانها كشفت للعيان المجتمع الصيني وحللته تحليلا دقيقا وعميقا . وان الاثر البعيد والعميق الذي أحدثه هذا العمل الادبي الخالد يمكن رؤيته بجلاء في هذه الايام . واني لدى استعادتي هذه الذكريات اشعر وكأني أسمع صوت لوشن وارى وجهه الباسم ثانية . ان كلماته لا تزال ترن في اذني ومع ان لوشن توفي منذ خمسة وعشرين عاما الا انه لم يفارقنا قط .



من تاريخ الحروب

اعداء الحرب الفاشية في المانيا النازية

في أحد أيام شهر أيار المشمسة من سنة ١٩٤٢ أقدم سبعة شباب في مقتبل العمر في عاصمة المانيا الهتلرية آنذاك على محاولة جريئة • ففي تلك الايام افتتح الحكام الفاشيون معرضا ، الهدف منه اعطاء صيغة من الشرعية للحرب ضد البلدان المناهضة للهتلرية • وقد أقدم الرجال السبعة في وضح النهار على احراق هذا المعرض من زواياه الاربعة • ومنذ ذلك الحين أنارت شعلة الحريق بل وأعلنت ارادة المواطن الالماني الصالح في مقاومته لسياسة الحرب والفاشية •

لم يكن هذا المثال سوى محاولة واحدة من مئات متعددة بل آلاف المحاولات التي أقدم على تنفيذها أفراد المقاومة الالمان •

وفي عام ١٩٣٣ هبط الليل على ألمانيا ، عندما استولى هتلر وجماعته • ولكي يصلوا الى أهدافهم ، فرضوا الصمت على أفراد الشعب • كان ينبغي على ألمانيا ان تصبح قبرا عميقا لجميع الافكار التي تدعو الى الحرية •

لكن العديد من الرجال والنساء المنتمين الى مختلف طبقات الشعب ابوا ان تصبح أفكارهم حبيسة ذلك القبر • فكانت تستعر في أعماقهم جمرات الحقد ضد اولئك الذين رموا بالشعب الالماني الى هذه الغوغائية المريعة •

لقد اجتمع في فرق المقاومة عدد من العمال والفلاحين والمفكرين وكذلك أيضا الكهنة من مختلف المذاهب • كان يعمل كل منهم على حدة في غالب الاحيان لكن السمة الفكرية الواحدة الجماعية هي التي جمعتهم • كانوا بمثابة المسلة الحادة المؤلمة في جسد الفاشيين •

ففي البدء قام أفراد المقاومة بكتابة لوحات او توزيع مناشير • وفي بعض الاحيان كانوا يصممون بعض الخطط التي تحمل صفة هزلية للغاية على الرغم من الظروف الجدية حينذاك • فقد قام شخصان قبل ابتداء احتفالات رأس السنة وعيد الميلاد في سنة ١٩٣٨ بصنع كرسي خفيف وضعاه في احدى الساحات لاسواق عيد الميلاد في برلين ، ثم ثبتا عليه آلة حاكي (بيك آب) وعرضا للبيع اسطوانات لاغاني عيد الميلاد • لكنهما لم يكونا ليسمحا للمشتري بسماع سوى بدء الاسطوانة • وعندما كان يعود المشتري الى بيته ويريد سماع تلك الاسطوانة الى آخرها ، كان يفاجأ في نهايتها بنداء حار موجه ضد الفاشية •

عندما بدأت الحرب أخذت تزداد حلقة هذه المقاومة اتساعا • وازدادت معها حوادث التجسس في المصانع الحربية وبين أفراد الجيش الفاشي • وكثيرا ما كان يحدث ان تظهر الاسلحة التي يريد هتلر بها اخضاع شعوب أوربا بأنها فاسدة وغير صالحة للاستعمال • وقد ساعد في مثل هذه الحوادث اسرى الحرب الفرنسيين والروس والبولونيين ، الذين استخدموا في المصانع التموينية الحربية واستطاعوا الاتصال برجال المقاومة الالمانية • لقد ساعد كل هؤلاء في انقاص عدد ضحايا الحرب اللاداعية هذه •

لم يمتنع الفاشيون بالطبع عن اتخاذ الاجراءات ازاء هذه المحاولات الجريئة • فلقد قاموا بالقاء الذعر والهول في قلوب أفراد حركة المقاومة بما لا يعرف من قبل • ولقد حكمت المحاكم الفاشية بتطبيق عقوبة الاعدام في مئات بل آلاف من المواطنين الالمان • لم تعد بعد ذلك حركة المقاومة محاولات أفراد ومجرد محاولات فاشلة • كانت تعتبر كل محاولة من محاولاتهم بمثابة الحلقة الجديدة في سلسلة صراع الشعوب الاوروبية التي ستكبل ألمانيا الهتلرية •

لقد كتب أحد الابطال الالمان ممن حكم عليهم بالاعدام قبل تنفيذ الحكم فيه بعدة دقائق :

« حتى ولو قضي علينا ، فان دولتنا سوف تصبح حقيقة » والآن فان الجمهورية الديموقراطية تمجد ذكرى اولئك المحاربين العظام ضد الفاشية ، ذلك لانهم كانوا بمثابة حجر الاساس في صرح الديموقراطية •

أهكذا

الى : (س . س)

شعر : نادر منصور

أهكذا ؟
وبسهولة ؟
تخفين بشراعك
مركب الدم الصاعد
أهكذا ؟
وبعبث قدمك
المشرئبة على سفح بشر
ترفين خيط الاحتماد
بمندلق زنارك ؟
أهكذا ؟
وبزغابة الريش
الحالمة بالومض ،
تمسحين عن برعم البشرى ،
نطفة الاستضواء !؟
أهكذا ؟
وبتنهدة استراحتك ،
تطفئين ولادة الشرارة
المدفئة في صقيع ضبابي ..
أجراس خمرك
- ومن كرمه لم يعتصر -
تعمي كؤوسي ..
أغنيات صمتك
- وهي ، بعد ، في الاكمام -
تخرس عبيري
يارقصة اللعنة ،
في حرم القرية ..
على سحائبي ،
فرشت ذرور أعماقك ..
وفي ضحوة ينبوعي ،
صلبت حلكة رمادك ..
يا من أجدبت حقل دموعي
وأعقمت سنابل آلامي ،
استغفر لك :
المحجر اليباب
والكبد الهشيم
يا أبنة الحلم والسراب أزهري حرقا جيدا على مندى عزائي .
واريقي كريه سمك في صدر تعرى سخاؤه للفداء
انت يا قلب ، انت مرغت في الوحل ذؤابات عزتي وابائي

نادر منصور

مع مهرجان الشعر الثالث في يومه الاول

بقلم : شوقي ملول

تساءلت وانا على المقعد مسترخ ومشدود بخيط من الانتباه الى شعراء المهرجان الثالث ـ انقطع بعد اول قصيدة ـ يا ترى هل سترى (حسانا) ثانيا وخنساء ثالثة وأعشى ثانيا على مسرح الشعر ، ولكنني تساءلت أيضا اين النابغة الثاني الذي يتربع منصة الحكم ..

المهرجان بدأ وبدأت معه مشكلة كل أديب ومتأدب ومتذوق حريص على سمعة الادب وكرامة الحرف وكبرياء التعبير غيور على رفعة شأنه وبنيانه المشكلة التي لم نجد لها جوابا حتى الآن .. لماذا هذه الضحالة في هذا البحر من الشعر الذي أقيم مهرجانه على مستوى الدول العربية لا الدولة الواحدة وعندنا ـ والحمد لله ـ ما يرفع رأس أبناء الضاد منذ جاهليتهم حتى يومنا هذا عاليا ..

الذي نتمناه كلنا ـ وكلنا الحريص الغيور ـ ألا يخرج المستمعون من المولد بلا حمص .. نريد هذا المستمع ان يعود في اليوم التالي .. نريد ان يجذبه الشعر لا الغناء .. الشعراء لا المطربون .. عطاء القلب لا عطاء الحنجرة ..

ثم عذرت الذين لا يأتون الا من أجل الوتر والعود والآه .. انهم أيضا متذوقو فنون ، والشعر والغناء ابناء أم واحدة .

الجميع مشغولون في هذه الايام بأدب الشباب وادب الشيخوخة وما بينهما ونحن مشغولون بأن يقول قائل : ان في المهرجان شعراء وان فيه لشعرا ينفذ الى القلب لان نبعته القلب ..

نريد شعراء قلوب شعراء احساس شعراء تجربة ، شعراء تجديد شعراء يشدوننا اليهم شدا بأيد خفية .. لا شعراء حنجرة لسان وتمثيل ..

كل شيء يجوز فيه الوجهان الا الشعر فاما انه شعر او لا شعر ..

والشمس لا تخفى على العيون حتى ولو كانت مرمدة ..

السؤال الذي يدور كالدوامة في الخلد :

هل هؤلاء هم النخبة المختارة من الانبياء كما يقولون عن الشعراء ؟

هل هؤلاء وحدهم الذين جثت الفصاحة وشياطين الشعر امام بيوتهم تعلن لهم الطاعة كما ركع فرلين يستلهم ربه ويدعوه ان يهب له البساطة واذا كانوا هم حصيلة الانتقاء هل لواحدنا ان يعلم عن الكيفية التي يتم بها انتخاب امير هذا البيان ليركب المنبر امام الجمهور ويمثل أحاسيسه وقضيته وشعوره .

أخشى ان يكون العدد هو الوزن الحقيقي في المسألة .

اين عمر ابو ريشة ، اين بشارة الخوري اين الياس فرحات اين الشاعر القروي اين السياب ، اين الحاوي اين نزار قباني اين نازك الملائكة ، اين الصافي النجفي ، اين نديم محمد ، وأين وألف أين .. أنا أعلم ان المهرجان ليس سباقا ولكنه سوق تعتز باقامتها دولتنا الادبية منذ الجاهلية حتى يومنا هذا بين يدي النابغة كانت تجلس الخنساء فاين خنساؤنا نازك الملائكة والى جانبها كان ابو بصير فأين عمر ابو ريشة ابو بصيرنا وبالقرب منهم كان حسان فأين حسان زماننا .. الامثلة كثيرة على ازدحام الفحول في معارك القلم والقلب واللسان . فلماذا نبخل على جمهورنا بالفحول .

مشكلة الشعر ، انه تعبير حي حسي من القلب عن

الشعور وعلى هذا القياس تضيع كل المياه في الغربال ولا يبقى فيه الا أهل البقاء •

نحن نريد لادبنا الحياة فلنحمل عبء رعايته ابناء الحياة •

اذا كنت لا تصدق فاسمع هذا التعبير الحي لشاعر من شعراء المهرجان :

ليس في الامكان ان أفعل الا ما أريد •

وكنت أحسبه ان سيقول : ليس في الامكان أحسن مما كان •• هذا تجديد يا صديقي فلا تأسف على ما فاتك •

انها واحدة ، كلا ان لها اخوات كثيرات واذا لم تصدق فخذ :

ليس في الامكان ان أحيا كما يحيا العبيد •

أما الخريدة فعنوانها « أنا شعب عربي » واما صائغها فهو الشاعر ابراهيم نجا وهو شاعر مجدد شاب •• ذكر الله أبا ريشة بالخير فما زلنا نحفظ له قصيدته السامقة في سبيل الوطن :

لا تطيق السادة الاحرار أطواق الحديد •
ان عيش الذل والارهاق أولى بالعبيد •
كان ذاك منذ عشرين عاما •

هذه واحدة والبقية تأتيك فاذا كنت على عجل ونحن في عصر السرعة فبادر الى المهرجان ان كنت (شبعان نوم) وانصت واعتبر هذه المحاولات الفجة لدى شعرائنا لو صحت لنا التسمية وجازت ، لم تستو بعد كالطبخة التي على النار ان انزلت قبل الاوان سببت (حرد) رب البيت فما بالك بطبخة يتذوقها جمهور بكامله •

ولعل الشيء الذي يعجب في المهرجان هو التفاف كل القراء حول القضية قضيتنا العربية •

اسكندرون وفلسطين والجزائر ثالوث القضية العربية المقدس الذي لا تنفصم عراه وهو الموقد والمعبد الذي لن ننسى دخوله حتى تسترد السبايا من أراضينا •

ولعل جولة بسيطة بين رياض شعراء المهرجان تعطينا جواب أسئلة بعضهم •

والشيء الذي يعجب أيضا هو ان عواطفهم في هذا الالتياح والحنين والشوق الى الاطمئنان على تلك البلاد هو الالهام الذي غذى فيهم روح التجربة والجرأة على اتمام المحاولات الشعرية المجددة والقديمة •• وان لم يأت أغلبهم بجديد •

صالح جودة وعزيزة هارون وعزة الطباع وصالح الخزفي وغيرهم كانوا فرسان الحلبة في الجولة الاولى وسادة منبرها •

صالح الخزفي ابن الثورة نقل ثورة الجزائر المسلحة الينا على طرف لسانه ولكنها كانت قصيدة ، العاطفة النارية الصادقة لحمتها ، والصورة التي لا تغيب سداها •

كان شاعر الجزائر فعلا هو فارس اليوم الاول والدكتور الطباع شاعر استطاع ان يبعث أمام أعيننا مواكب أمجادنا وحضارتنا الترفة الغنية ويعيد لنا غناء ملاحم تاريخنا العربي الانساني ، أعطى التجربة من نفسه قدر ما تستحق من القلب والفكرة والخيال ، ولكن دوره الذي جاء في النهاية فوت على كثيرين من الذين نعسوا فناموا فرحلوا متعة الختام وحلاوة الخاتمة •

واستمعنا الى عزيزة هارون مع المستمعين ولكن ليس بناء على طلبنا فقدمت لنا نماذج من شعرها الذي تتفيأ بظله وان لاح في الظاهرة قصيرا لا يمكن ان ينشر ظلا ثم تساءلنا هل يمكن للشعر بكسر الشين لا فتحها ان يظلل صاحبه اذا فلماذا وجوه شعرائنا الجاهليين كلها سمراء •

ثم أدركنا انها تتفيأ به من همومها لا من الشمس وتنتشي أحزانها به • فيا لنشوة الاحزان •• والشاعرة تعطي الحياة من حرمانها وقبلها أعطى عبد الله الفيصل العربية من وحي حرمانه ما اثنى عليه شيخنا مارون عبود •

اذن فالحرمان كما تقول شاعرتنا هو معطي الحياة ثم تؤكد لنا ان النار لن تهدأ في كيانها المشع لانها سبب الاشعاع وان لم تفسر لنا سبب الاحتراق .. اذا للبيب تكفيه الاشارة .

ثم غنت لنادرياها وكيف عانقت الفجر النضير ولمحت الهوى الاثير في العيون ثم رأت الطيور توشك أن تطير .. واحتضنت الصبح النشوان تلح على نزف الجراح التي تبدع الجراح .

وشرحت لنا معنى هذه الديار في نفسها وكيف انها نواة الوطن الكبير . انصح الشاعرة ان تقرأ حب الوطن لدى ابن الرومي وشوقي والشاعر القروي فلعلها اذ ذاك تبدع لنا جديدا يسمع .

أما قصيدتها ما الشعر فقد جعلتني أتساءل فعلا ما الشعر ليس لديها فحسب بل لدى كل نظام . بتشديد الظاء مثلها ثم نفهم أن الشعر نبع عندها وماء هذا النبع ماء الشاربين . هذا يا صاحبي الشعر في كلمتين ماء الشاربين .. ثم تستعيض عن الفيء بشعرها بسهر الجفون . سبحان مغير الاحوال .. لا تستغرب فلا يدوم الا الله .. وروحها أخيرا يثور على الشجون وعلى المنون فيا لمتعة هذا الثائر .

لو انصف الناس لاستراح القاضي اذكر هذا المثل وانا استمع الى اراجيز هي عند المدعين قصائد لو انصف الشعراء لاستراح الجمهور ولو عرف كل قوال وقوالة حدة لعرفنا القرعاء من أم الشعر .

ونعيش بعد ذلك توبة صالح جودت ودعوته واستغفاره كأننا في حلقة ذكر ولا ينقصنا الا (الميلوية) والمنشدون والالبسة الملائمة حتى (نحييها) الى الصبح ونقوم فنغتسل ونتوضأ ونصلي .

هكذا استهل شاعرنا قصيدته وفي هذا يقول شاعرنا في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل .

ولكن المثل يقول لنا : الامور مرهونة بخواتيمها .. ونمشي معه الهوينا السنا في حلقة الدعوات الصالحات والاستغفار فرض فيها حتى نصل الى الغزل ، مهلا انه غزل بريء ، فالشاعر محب موله دنف شغوف بالطبيعة فغزله بالغوطة ودمر ودمشق والربوتين والنيربين وكوثر دمشق « بردى » .

رحم الله شوقيا فما ترك لشاعر بعده كسوة غزل النيربين والغوطة والحور وبردى .

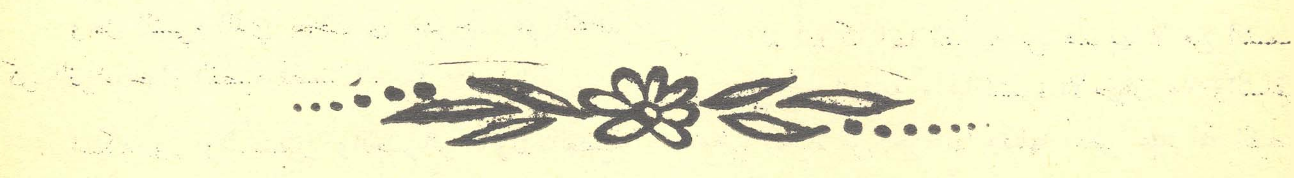
ولكن الشاعر جودت يحب احياء الذكرى وذكر فانما تنفع الذكرى المؤمنين .

ثم يمشي بنا خطوات طويلة ويذكرنا بمبادىء رددها شوقي قبله في قصائد الكثار .

حقا ان (شوقيا) في آثاره كنز لا يفنى يعطي كل من جاءه مستعطيا هكذا ميشال طراد في لبنان لم يبق زجال الا ولميشال طراد صورة في شعره .

اتساءل لولا شوقي ماذا كان يفعل شاعرنا صالح جودت وسواه كثير .

روعة الشعر والشاعر ان ينسحب وفي القلوب رغبة الى الاستماع والاستزادة منه .



العلاقات الثقافية العالمية لجمهورية هنغاريا الشعبية

تلاحظ في هنغاريا منذ عدة سنوات نهضة ثقافية ، نمت ، موازية لها علاقات ثقافية عالمية ، نموا عظيما في الحقبة الاخيرة .

ان جمهورية هنغاريا الشعبية تجهد في زيادة وانماء علاقاتها العالمية العلمية والثقافية والتربوية لان ذلك يقوي الاحتكاك والتفاهم المتبادل بين شعبنا وشعوب البلدان الاخرى كما ينتج عن ذلك نتائج عملية في الحياة العلمية والثقافية يمكن أن تساهم في تقوية العلائق السلمية في الحياة العالمية .

ان العلاقات الثقافية بين الجمهورية الهنغارية الشعبية وبقية البلدان الاشتراكية باتت غنية بماض من خمسة عشر عاما يستند على العلاقات الاخرى القديمة . كما أ ن العلاقات الثقافية العالمية التي بين الجمهورية الشعبية البلغارية وبين بلدان أوربا الغربية – التي كانت لها معها علاقات ثقافية مختلفة تكونت عبر التاريخ – هي أيضا في اطراد . كما أن التعاون الثقافي الذي أخذ ينشأ بين هنغاريا والبلدان الآخرى الآسيوية وبلدان أمريكا اللاتينية هو ظاهرة جديدة في فعاليتها الثقافية العالمية . ولم تكون هنغاريا في تلك البلاد ، عندما كانت تعيش هذه تحت نظام استعماري أو غير مستقل ، غير علاقات ثقافية قليلة الاهمية . ولكن تحرر هذه البلدان فتح أمكانية نمو هذه العلاقات فأخذت الجمهورية الشعبية الهنغارية تجتهد في حدود امكانياتها لانشاء تعاون ثقافي علمي تربوي مع هذه البلاد . وبفضل هذا التقدم العام المتعدد الوجوه أخذت ثقافة بلادنا ترسخ في الثقافة العالمية والتيارات الكبرى التي ترفد الانسانية .

ولقد تسارع هذا النمو سنة ١٩٦١ . ولقد قامت الجمهورية الشعبية الهنغارية بعقد اتفاقات ثقافية دولية مع عشرين بلدا . ولقد وقع سنة ١٩٦١ أربعة من هذه الاتفاقات فقط مع غانا والبرازيل وكوبا وأندونيسيا . وفي ٢٥ تشرين الاول وقع بروتوكول متعلق ببرنامج تبادل ثقافي بين حكومتي جمهورية هنغاريا الشعبية والجمهورية الفرنسية . ولقد وقع اتفاق قبل ذلك بعدة أيام بين المجمع العلمي الهنغاري للعلوم ومركز الابحاث العلمية الوطني .

ونحن ننتظر أن تعقد اتفاقات مماثلة قبل نهاية هذه السنة . كما تتخذ الاستعدادات لاقامة اتفاق مع جمهورية الهند وبرنامجا للتبادل الثقافي مع بريطانيا العظمى كما أن العلاقات آخذة بالتحسن فيما يخص البلدان التي لا توجد بيننا وبينها علاقات حكومية . ان هنغاريا تقيم ، آخذة ذلك بعين الاعتبار ، علاقات علمية وثقافية بوسعنا أن نصفها بأنها منتظمة عمليا مع ما يتراوح بين خمس وثلاثين وأربعين بلدا .

ان الاحداث الثقافية لسنة ١٩٦١ تقدم أمثلة جديدة توضح العلاقات الثقافية التي تتسع يوما بعد يوم في هنغاريا . فلقد زارنا في عام ١٩٦١ مسرح موسكو الكبير والمجموعة الشعبية البولونية المسماة (سلاسك) ومجموعة جيش رومانيا الشعبية ، كما قامت المجموعة الشعبية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية بجولات متعددة في بلادنا وزارنا كذلك فنانون لهم سمعة عالمية شن جوستاكونيتش وريختر ، وأقاموا للجمهور معرض صور ظلية من الصين وقدمت مجموعة هامة من أعمال الفنين البلغاريين وأقيم معرض اعلانات ثورية بولونية الخ ..

ولقد أقيمت في بداية السنة ، بمناسبة زيارة وفد

عن حكومة البرازيل ، سهرة عظيمة ومهرجان أفلام برازيلية ، كما أن مجموعة رقص هندية قامت بجولة في هنغاريا لاقت نجاحا عظيما ولقد احتفلنا بعيد ميلاد تاغور كما استقبلنا فرقة بالية كوبية والشاعر الطلياني كازيمودو ذا الشهرة العالمية ، الحائز على جائزة نوبل . وأقمنا معارض مثل معرض الخط الفنلندي ، ومعرض الاواني الفخارية لفالوريس ومعرض أعمال النحات الانكليزي الشهير هنري مور ، فلاقت ضجة عظيمة .

وأقيمت بنفس الوقت معارض ثقافية عديدة في الخارج . فقد قام مسرح (مدام ديري) بجولة هامة في الاتحاد السوفييتي . كما أن مجموعة البالية لاوبرا بوداف لاقت نجاحا كبيرا في ألمانيا الديموقراطية . وقامت أيضا مجموعة الجيش الشعبي الهنغاري بجولة في رومانيا . وفي بداية السنة أقمنا في براغ معرضا لفنون الرسم والصناعة لاقى نجاحا كبيرا وأقيم معرض مماثل في هذه الايام في بخارست .

أما ما يخص العلاقات بلدان أوربا الغربية فمن المهم أن نذكر جولة أوركسترا الدولة السيمفونية في انكلترا وهولاندا وبلجيكا والنمسا التي دامت عدة أسابيع . كما نذكر أيضا « الاسبوع الهنغاري » الذي جرى في فنلندا بمساعدة فنانين هنغاريين وكذلك الحفلات التي أقامها موسيقيون هنغاريين لوحدهم (سولو) . ولقد لاقت المجموعة الشعبية لرقص (فازاس) نجاحا كبيرا في فرانسا بمناسبة المهرجانات الفولكلورية العالمية في هذا الصيف . وعرضت أمام الجمهور مجموعة الرقص المسماة « فردوزا » . ونذكر أيضا بشكل خاص النجاح العظيم لمعرض (ليست ـ بارتوك) في عدة بلاد مثل بريطانيا العظمى وبلجيكا ، وسويسرا بمناسبة سنة (ليست بارتوك) .

ولاقى معرض الرسامين الهنغاريين للقرنين التاسع عشر والعشرين نجاحا كبيرا في فينا . كما أن العلاقات بين الاوساط العلمية الهنغارية والنمساوية قد نمت عما قبل وقد نجحت كثيرا حفلة ادوار ستراوس في بودابست . وبوسعنا أن نذكر أيضا بعض الوقائع عن العلاقات الثقافية والعلمية الهنغارية ـ الامريكية . ولقد زار هنغاريا وفد من سبعة أطباء أمريكيين بدعوة من وزارة الصحة . فساهم أعضاء هذا الوفد بتبادل تجربتهم . ونحن نقدر هنا مساهمة الدكتور (أميل باتسور) من المؤتمر العالمي للجراحة العصبية في نيويورك . كما أن جولة عازفة البيانو آني فيشر من الولايات المتحدة قد ساهمت في تقدم العلاقات ولقد أسعدنا أن يشترك الفن الامريكي الموسيقي في مسابقة البيانو بمناسبة (ليست بارتوك) . كما أن زيادة علاقاتنا الثقافية العالمية يثبته معارض هامة ذات طابع ثقافي نظمت في هنغاريا . ولنذكر هنا المهرجان الذي أقيم في الهواء الطلق في مدينة (زيجيد) الذي أصبح تقليدا دائما . ونذكر أيضا المسابقة الغنائية العالمية في مدينة (ديهريسن) التي أقيمت بمناسبة العيد الستمائة لتأسيسها ، التي اشترك فيها أربعة عشر جوقة أجنبية من أحد عشر بلدا جمعت أكثر من ألف مغن ولنذكر أيضا « أسابيع بودابست الموسيقية » التي أقيمت حديثا بمناسبة ذكرى ليست بارتوك وجرت فيها مسابقة عالمية للبيانو من مستوى عال جدا اشترك فيها أربع وأربعون متسابقا منهم سبع وعشرون أجنبيا وهذا شيء له مغزاه على المستوى العالمي . وقد أم هنغاريا بمناسبة هذا الحدث الموسيقي حوالي مائة وخمسون موسيقيا أجنبيا من أربع وعشرين بلدا . اننا اذا لاحظنا هذه الوقائع نجد أن علاقات هنغاريا العالمية قد تطورت في الحقبة الاخيرة بشكل مشجع .

ونحن على قناعة أن هذا التيار سيدوم لان عدد البلدان المهتمة جديا بالحياة العلمية والثقافية في هنغاريا هي في ازدياد دائم .

ان هذه العلاقات تساهم على طريقتها في اعادة العلائق السياسية العالمية الى طبيعتها ، كما تساهم في خدمة السلام .

في انحاء يوغوسلافيا مع الغناء الشعبي

ان التنوع الكبير للاغاني الشعبية اليوغسلافية لا يمثل في الوقت الحاضر قيمة أثرية محفوظة في المجموعات فحسب بل أيضا تقاليد حية . ان الاغاني القديمة ما تزال تعيش في المناسبات الجديدة . فالحوادث الحاسمة في حياة الجماعة تنتقل كالماضي بعدد كبير من الاغاني الجديدة الناشئة عن الابتكار الشعبي . هذا الينبوع الذي لا ينضب يعطي دائما شعراء شعبيين جدد مجهولين . مما يشهد على ذلك ظهور عدد كبير من الاغاني الحديثة في موضوع كفاح التحرير والثورة الشعبية خلال الحرب الاخيرة .

ان الاغاني التعبيرية حول موضوع الحوادث الاخيرة هي من النوع الحماسي أو الغنائي . وهذا يعود الى التنوع الكبير في الفكر المبتكر الشعبي . كل شعب من شعوب يوغسلافيا له أغانيه الخاصة التي تنطبع بصفات مميزة مشتركة مع انه يوجد اختلاف كبير بينها . ولكن، فيما عدا الصفات المميزة لبعض المناطق ، أو لبعض الشعوب ، فاننا نجد فيها عوامل مشتركة .

ما الذي يشكل هذه الاختلافات اليوغسلافية ؟ .

نجدها في بنية وشكل البلاد ، في الاقليم ، في الشروط التاريخية والسياسية المؤثرة على تطور بعض شعوب الاتحاد ، في المؤثرات الدينية ، في درجة التطور الاقتصادي .

ان الاراضي اليوغسلافية تشمل منطقة جبلية ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي من جبال الالب والدينار الكرستيك الى جبال البلقان والكاربات . سهل بانونيا الخصب الذي ترويه أكبر أنهر يوغسلافيا من جهة ومنطقة الساحل الادرياتاسي مع أشجار الزيتون والصنوبر من جهة أخرى يؤلفان تضاد كبير مع المنطقة الجبلية .

والاختلافات التاريخية هي أيضا بينة . ان الحدود بين عالمين ، الشرق والغرب ، قد اجتازت البلاد اليوغسلافية في فترة تتجاوز عشرة قرون . هذا يعود الى تاريخ الامبراطورية الرومانية الشرقية والامبراطورية الرومانية الغربية في عهد سيطرة الكنيستين الكاثوليكية والبيزنطية . هذه الحدود التي تحيط مقاطعة بوسينا وتجتاز كرواتيا قد بقيت طوال عهد الاتراك في البلقان كحدود بين الامبراطورية العثمانية وبلاد الغرب المسيحي. بينما وقع جزء من سلافيا الجنوبية (شعوب صربيا وماسيدونيا وبوسينا) تحت سيطرة الاتراك في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وأضيف الى الدولة العسكرية العثمانية كان الجزء الآخر (السلوفين والكروآت) يوضع تحت سيطرة عائلة هابسبورغ . ونشأ عن ذلك سيطرة تأثير الكنيسة الارثوذكسية والشرق من جهة ثانية . عالمان مختلفان من حيث الثقافة .

ان بوسينا هرزكوفيا ، الواقعة بين هذين العالمين ، تشكل حالة خاصة . هي بلاد غير متجانسة من وجهة الجنسية ، والدين والتقاليد والثقافية التي ترمز بصورة مصغرة الى مناقضات يوغسلافيا . نجد فيها الصرب والكروات والارثوذكس والكاثوليك وعدد كبير من المسلمين . ان هؤلاء المسلمين هم أحفاد الامراء البوسنيين والنبلاء الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية للمحافظة على أملاكهم في وقت الهجوم التركي .

قد بقيت دالماثيا الواقعة على شواطىء البحر الآدرياتي تحت سيطرة البندقية مدة أكثر من أربعة قرون . ان التأثير الروماني في هذه المنطقة يستمدجذوره من أيام الامبراطورية الرومانية ، واتصالات هذه المنطقة مع البحر الابيض المتوسط يعطيها طابعا خاصا يشبه المقاطعات الاخرى الواقعة في حوض البحر الابيض المتوسط .

سلوفانيا :

اذا دخلنا الى يوغسلافيا من الغرب نرى أولا جمهورية سلوفانيا الشعبية . وان السفر في هذه المنطقة يظهر لنا طابعها ، يمكن أن تسمى بسويسرااليوغسلافية. هذا الطابع لا ينشأ فقط من وجود جبال الالب المرتفعة من طرفي وادي السيف بل أيضا من الصفة الجبلية للمنطقة والصناعة المتطورة فيها والمناظر الطبيعية الخلابة والسياحة المنظمة بشكل مثالي .

وصف أحد الكتاب الاجانب تاريخ السلوفانيين بأنه تاريخ فكري وأدبي . وبالفعل منذ القرن التاسع خضعت دولة السلوفانيين المستقلة لهجمات عديدة من قبل الشعوب المجاورة . زالت طبقة النبلاء من البلاد وتعرض الشعب الى فقدان جنسيته . ولكن بالرغم من الضغط الشديد عليهم ، استطاع السلوفانيون في فترة تمتد من القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر المحافظة على حدود بلادهم ، ومقاومة المحاولة التي كانت تقوم بها أسرة هبسبورغ في النمسا الى دمجهم بالعنصر الجرماني. ظهر الشاعر القومي الكبير فرنك بزرن في أوائل القرن التاسع عشر وخلق اللغة الادبية السلوفانية . أما من الوجهة الاقتصادية تعتبر سلوفانيا الجمهورية اليوغسلافية الاكثر تطورا في العصر الحاضر . ان مناجم الفحم الكبيرة وموارد الطاقة المائية والاحواض الصناعية الهامة الموجودة في حوض الساف والدراف مع الصناعةالحديدية والفولاذية المتطورة وصناعة المعادن وتحويل الاخشاب وصناعة النسيج هي التي تعطي لهذه المناطق صفة مراكز صناعية هامة . تجتاز سلوفانيا طرق كثيرة وتصل مختلف المراكز السياحية الهامة (بليد ، بوهنج ، واديسوكا..)

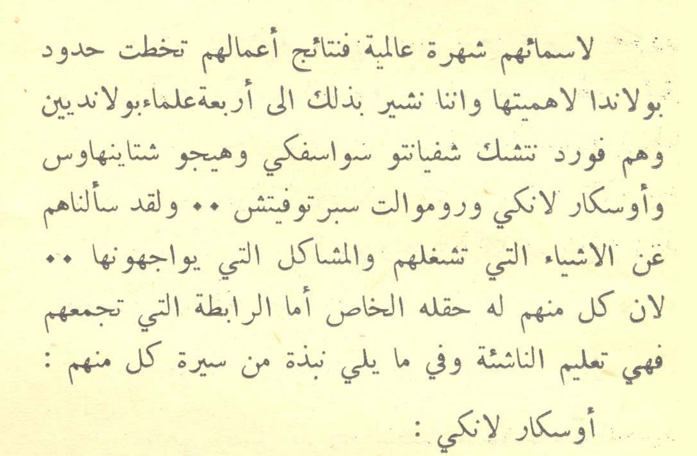
قد توصل السلوفانيون الى مستوى الحياة الاكثر ارتفاعا في يوغسلافيا بواسطة جدهم للعمل ومقدراتهم المهنية بالرغم من انه سكان جمهورية صغيرة (١٥٠٠٠٠٠ نسمة) . يعتنوا بشكل خاص بالغناء ويحبوا الطبيعة ويمضوا أكثر أوقات فراغهم في الجبل . ان الغناء الشعبي السلوفاني هو قريب من غناء مختلف الشعوب الالبية وخاضع جزئيا لتأثيرها . ولكنه مع ذلك حافظ على طابعه القومي . ان احدى صفاته النوعية هو الغناء من قبل ثلاثة أصوات أو أربعة أو خمسة . ان الاغاني السلوفانية هي مرحة بشكل عام وغالبا ما تحمل طابعا فكاهيا ، وليس من النادر أن تكون عاطفية .

مثال موسيقي : أغاني سلوفانيا .

ـ للبحث صلة ـ



في مختبرات العلماء البولانديين



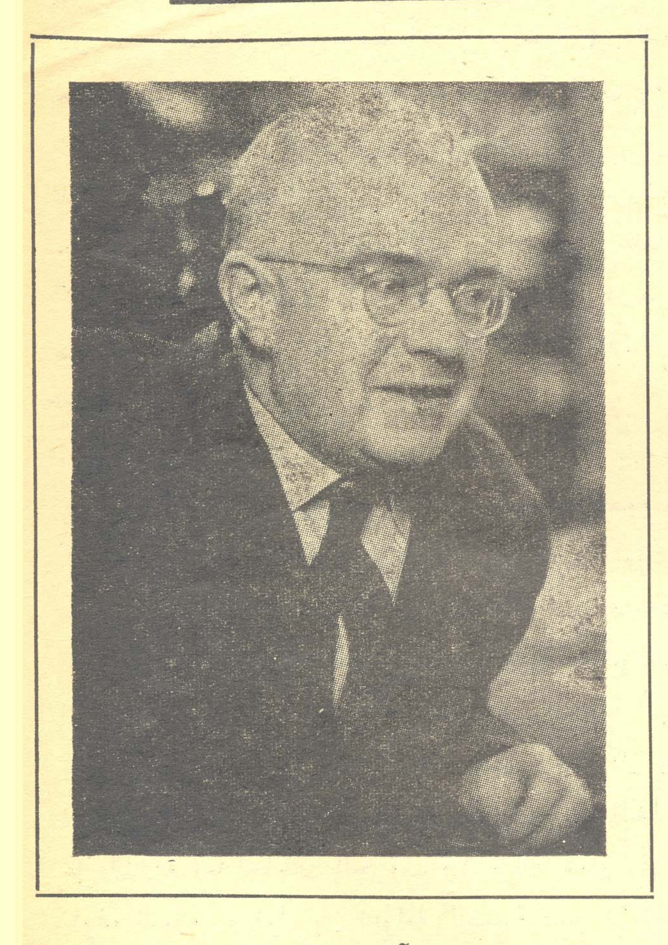
لاسمائهم شهرة عالمية فنتائج أعمالهم تخطت حدود بولاندا لاهميتها وانا نشير بذلك الى أربعةعلماءبولانديين وهم فورد تتشك شفياتو سواسفكي وهيجو شتاينهاوس وأوسكار لانكي وروموالت سبرتوفيتش .. ولقد سألناهم عن الاشياء التي تشغلهم والمشاكل التي يواجهونها .. لان كل منهم له حقله الخاص أما الرابطة التي تجمعهم فهي تعليم الناشئة وفي ما يلي نبذة من سيرة كل منهم :

أوسكار لانكي :

يعتبر اوسكار لانكي من الشخصيات البارزة في عصرنا الحاضر وقد حاضر في كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية وانكلترا ويوغسلافيا والمكسيك والهند وسيلان ومصر وبلدان أخرى وقد وجهت اليه الدعوة ليحاضر في اليابان مجددا . ان لانكي هو نائب رئيس مجلس وزراء الجمهورية الشعبية البولاندية وعضو البرلمان ورئيس الهيئة الاقتصادية لمجلس الوزراء ومن الاعمال التي قام بها المشاركة في تنظيم الاقتصاد لكل من مصر والهند وسيلان وقد أبدى جهودا عظيمة في حقل تأليف الكتب الرياضية الاقتصادية وله كتاب « مدخل الى علم الاقتصاد » ويعتبر من أهم ما كتب بهذا المضمار .

ولقد تم بناء نموذج لجهاز عقلي اقتصادي في الدائرة الاقتصادية بجامعة وارسو بموجب تخطيط لانكي . والجهاز عبارة عن مضخة تعمل بواسطة الانابيب بحيث تثبت سوائل ملونة تربط فروع الاقتصاد الوطني الخاصة ولهذا الجهاز أهمية كبرى لتلامذة هذا العلم كأحسن مثال في التخطيط الاقتصادي .

روموالت سبرتوفيتش :



كثيرا ما يطرق آذاننا السؤال التالي في بولاندا أناس يتعاطون فن البناء وحفظ الآثار . وعند السؤال يقولون هل تعرف طريقة الاستاذ سيرتوفيتش من (جدانسكة) في تقسية التربة وحفظ الآثار والذخائر .

في أثناء عملية بناء شبكة مواصلات في وارسو لوحظ أن أجمل كنيسة في وارسو وهي كنيسة القديس (آن) أخذت في الانحدار وجدرانها بالتشقق وكانت مهددة بالسقوط وقد تمكن الاستاذ سبرتوفيتش بعد جهود متواصلة مدة ثماني وأربعين ساعة وطريقته المستنبطة لتقسية التربة بواسطة (الاكتروسيوسيز) ان يحفظ

الكنيسة وقد استخدمت طريقته وكان لها فضل كبير في حفظ كثير من الآثار البولندية وفي بناء محطات ذات قوة كبرى وفي المناجم المهددة بالطوفان وقد استعملت طريقته بنجاح في كل من ألمانيا والصين ورومانيا وغيرها . ولقد كان لنتيجة عمله في مصر لحفظ آثار (أبو سنبل) وذلك بعد أن كانت مهددة بعد ارتفاع منسوب مياه النيل بعد بناء سد اسوان وقد كانت طريقته هي تقوية الارض من ثلاث جهات وتغطية التماثيل بالاسمنت وبفضل طريقته حل مشكلة كانت تهدد هذه الآثار رغم جهود علماء كثيرين غيره ومع العلم ان طريقته كانت أقل بأربعين ضعفا عن الآخرين . وقد ساهم بخدمة كثير من البلدان الاخرى .

فويتشك شفياتو سواسفكي :

عمله في الانابيب ولكن عمله لا ينحصر في صومعة كيماوي بل انه معهد وارسو الكيماوي . ان ماريا كوري سكلو داونسكا قد عملت بالآلات والادوات التي صممها ١٩٢٧ المعروفة بالميكروكالوريميتر أما جهاز ابيليوميتر الذي صممه يعتبر الآن من أهم الاجهزة الكيماوية التي تحويها المختبرات في العالم وقد صمم عندما كان في الولايات المتحدة أثناء الحرب جهازين كيماويين للتغلب على النازية تبعا لحاجات الحروب ولا يزال يعمل رغم بلوغه الثمانين ويقول بأن أعوامه الخمسة عشر الاخيرة هي أكثر أيامه غزارة في العمل . وتوفر بولونيا بفضل الاستاذ شفياتو سواسفكي ملايين الدولارات وقد قام مع الذين يعملون تحت امرته بتحويل قار الفحم الى فحم اصطناعي وقد ضاعف الحصول على مادة النفتالين بواسطة مركبات القار المذكورة .

وقد عمل على زيادة انتاج المواد التالية الى خمس أضعاف ما كانت عليه وهي البيريدين الذي يستخرج منه أدوية للقلب وفيتامين ب والبريميفون وكذلك منتجات ضد الجدري .

وللاستاذ تلاميذ كثيرون منهم سبعة عشر يحضرون الدكتوراه في الكيمياء الطبيعية . واليه يعود الفضل بشق الطريق أمام أبحاث الكيمياء الطبيعية وقداكتشف بواسطته الازياتروب ويقول الاستاذ الكبير بأنه اذا ما توفر الانسجام والفرح مع شيء من الالهام وجد الاكتشاف بنفسه وهذا ما يبدو عليه أثناء عمله .

هيجو شتاينهوس :

ما هي أفضل طريقة لتنظيم مواصلات سكة الحديد؟ ما عدد التوربينات الكهربائية ؟ ما هو مدى الخطأ في دعوى قضاء تتعلق بالابوه ؟ ما هي الوسيلة لتحسين الانتاج في مصانع الاحذية ؟ عند هذه الاسئلة يذهب المهندسون والمختصون الى استاذ الرياضيات في جامعة (روكلاو) هيوجوشتاينهوس رغم انه ليس مختصا بصنع الاحذية أو الكهرباء أو القضاء ولكنه يؤمن ان جميع المشاكل يمكن أن تحل عن طريق الرياضيات ورغم كثرة أعماله فانه يقوم بتدريس الشبان وأفضل ما يقال بذلك هو أن الولايات المتحدة الاميركية عرضت على الاكاديمية البولندية شراء جهاز الشبان الرياضين .

إن العلماء الاربعة البولانديين الذين طبقت شهرتهم الآفاق يقولون بأن (الشباب والفتوة) هم العامل الاكبر في هذا الحقل ولدينا عددا من الشباب المتحمس الممتاز الذي سيحتل مع الزمن أمكنة العلماء المشهورين .



العـدد الماضي في الميزان

بقلم : محي الدين صبحي

هذا العدد من مجلة الثقافة يكاد يكون صورة عن النشاط الادبي المعاصر في سوريا ٠ وان كان ينقص هذه الصورة بعض الشمول والعمق فانها في مجملها غير بعيدة عن الواقع الذي يمثل الكثرة السائدة بدلا عن القلة المنتخبة ٠ ففي الشعر يتساوى شعراء العدد في قيمة محاولاتهم مساواة غريبة لانهم يلتقون على أصول « الوسطية » في الشعر ، فالمجيد منهم لا يرقى الى ما فوق الوسط والمقصر لا يصل الى الرديء ٠٠ ورب قائل بأن البرهان واجب لكنني لا أحب أن أستشهد فأحرج نفسي والناس اذ يتوجب علي أن أتحدث عن الجميع ذلك ٠ على أن من المؤسف أن يصل الشعر الى حد الوسط فيصبح كالماء لا طعم له ولا لون ولا رائحة ٠ لقد عدمنا التمرد والانفجار وأصبح انتاجنا الشعري كآهة رتيبة يرددها مغن عجوز ٠ ثمة مركب خشن جهد موريس قبق في اعتلاء صهوته فتعب وأتعب ٠ ان روح النظم والجهد العقلي في الابيات يشنقان التجربة ويخنقان الشعر والشعور ٠ أما المركب الناعم الذي انزلق فيه الدكتور بديع حقي فانه يعود الى موديل الاربعينيات في هذا القرن وهي في ديوانه المرهف « سحر » وما يبدو من القطعة يدل على جهد وصنعة ظاهرتين كما أن التسلسل المنطقي يجعل التجربة عقلية مفتعلة ويمحو الاحساس والانفعال الذاتي ٠

ثمة قصتان تستوقفان الناقد وتجعلان القصة تتفوق على الشعر في ميدان العطاء الادبي وبحسب المقاييس الجمالية للادب ٠ أولى القصتين « الجريمة » لزكريا تامر ٠ واذا كانت الاعمال الفنية الناضجة تنجح في خلق جوها فان القصة تثير أجواء سوداء ويأسا مصيريا ٠ ذلك أن بطل القصة يعتقل اعتباطا ويقتل ظلما ويشهد عليه بجريمته أبواه وأخته شهادة مزورة تودي بحياته ٠ في هذا العالم العاتي تجري حوادث القصة بعيدا عن كل منطق أو عدالة ٠ ان القصة تعتمد على تكافؤ الاساليب الفنية ، فالسرد والحوار والمنولوج الداخلي تكاد تكون متساوية مما يمنح القصة تركيزا كنا نفتقده في القصص السابقة ٠ وقد استعاض بالسرد في نهاية القصة عن الحوار الداخلي ليمحو البطل بدلا عن أن تستحيل القصة الى ميلودرام دموي وبذلك أفسح المجال لخيال القاريء كي ينطلق وشغل وعيه بوصف حرمان سليمان من الحياة ٠ وبهذا يصل الايحاء الى ذروته مع نهاية القصة ٠ ثمة هنة تحدث فجوة في القصة هي قول المحقق :

— لماذا ولدت ما دمت بريئا ٠٠ الخ ٠٠

فهذه الافكار لا تنسجم مع الجو العام للقصة ٠ وهناك ناحية ثانية هي الاطار التاريخي الذي توحيه كلمتا « سليمان الحلبي » و « كليبر » ٠٠ فالقصة لا تعطي مضمونا تاريخيا يدل على الماضي ولا تنجح في تقديم بطل معاصر ٠ ان البطل منسجم مع القصة اذا حذفنا الملابسات التاريخية واكتفينا بالحادثة دون مضامين فكرية ٠

القصة الثانية في العدد الماضي للدكتورة انعام مسالمة وهي بعنوان « العائلة ترى » ٠ انني أشعر بسرور كلما قرأت القصة ، فالقلم جديد بكل معنى الكلمة ، جديد في عالم الاقلام وجديد في عالم الاسلوب ٠٠ وجديد في عالم المعالجة القصصية ٠ انه يحمل طراوته وخفته ومرانته على الاداء الطبيعي دون تعقيدات الصنعة التي لصقت بالمحترفين ٠ وفي التفكير لقطات تبلغ من الصحة والصدق مبلغا عجيبا ٠٠ والسر الكامن في القصة هو أنها استطاعت أن تعرض المأساة بسخرية رقيقة شفافة تنطوي تحتها معالم النقمة ٠٠ تماما كما أن الفتاة تغرق في تقاليد عائلتها وتخفي ثورتها بتصرفات دقيقة ٠ وكنت أود لو أن الاسلوب في بداية القصة كان أكثر انطلاقا ودقة ، وبدلا من الحديث « الانشائي » عن الصباح والسأم كان بالامكان الدخول في الموضوع رأسا لان السفر يشغل البطلة ٠ وهو الحادث الذي يملأ القصة ٠ فلو فكرت البطلة بالسفر لكانت القصة أكثر انسجاما من أن تفكر بالاصباح السابقة التي مرت عليها ٠٠ انها تمر في يوم جديد

وتحقق لنفسها بعض ما يصبو اليه الجيل الطالع من حرية فردية وانعتاق من قيود التقاليد •

في مجال الابحاث كان من الواجب أن أعلق على أفكار الشاعرين يوسف الخال وبدر شاكر السياب ، لكن هذين البحثين جزء من عدد من المحاضرات التي ألقيت في مؤتمر الادب العربي المعاصر في روما وأنتظر صدورها كاملة للتعليق عليها • ولا يبقى سوى البحث الممتاز الذي ترجمه عبد الوهاب الوكيل لجان مورغان عن « الخيال الخلاق » دون أن يشير المترجم الى مصدر البحث ولا الى تاريخ تأليفه • يثير الناقد عدة نقاط مشكلة ويطرح لها حلولا ارسطاطاليسية تتمشى مع كلاسيكية التراث الغربي وتساير تطوره المعاصر • وأهم هذه المشاكل :

١ – الفن والالتزام ، ومن جهة ثانية ، الفن وروح العصر • ويقرر أن الفن معرفة وخبرة بالحياة يؤديان الى ازدياد الشعور بالحياة والى اجراء تغير روحي يكون الحب – المقدرة على استيعاب الآخرين بروح العطف – شرطا فيه • لذلك لا يهم في الاثر الفني أن يكون الكاتب متمشيا مع روح العصر عن طريق خدمة اليسار أو اليمين • فالعصفور تحكم على الاثر الفني بمدى قوة التحول الكامنة فيه ، أي بأن يتم خلقه باستمرار في أذهان الاجيال • وهذا لا يتم الا اذا تضمن من الحيوية مقدارا يبعث الخيال في كل قارىء • ان عصرنا شقي بسبب حنينه غير المجدي الى النظام والتعقل في الحياة • ومن واجب الفنان أن يساهم في اخصاب الخيال الانساني عن طريق الوصول الى غاية الفن •

٢ – غاية الفن : هي أن تتمكن الانسانية من اعادة خلق نفسها باستمرار • والفن العظيم هو الذي يساعد الانسان على رؤية النظام من خلال هذه الفوضى المقلقة • ان فشلنا في رؤية النظام يعود الى جدب خيال الانسان الحديث • وأهمية الفن تعود الى ايقاظ الامل لدى القارىء الحديث وارهاف حسه بحيث يشعر في قرارة نفسه بوجود شكل حيوي ينتظر الكمال •• وهذا هو السبب الذي يمنح الحياة أهمية ويجعلها تستحق أن تعاش • وبذلك ينفصل الفنان عن معالجة مشاكل عصره بصورة مباشرة ويصبح له الحق في أن يفكر بالرجال والنساء كأفراد لا كوحدات في كتل بشرية سواء أكانت تلك الكتل أمما أو عناصر أو طبقات اقتصادية • قد يقال ان مثل هذا الفن الذي يتخذ أفراد الرجال والنساء مادة له هو فن مخدر • لكن الفن الذي يطهر الروح من انقسام الفكر ومن الشعور بالخيبة والضلال والصدفة هو فن خلاق فبدلا من أن يخدر النفس نراه يدفعها الى معرفة ذاتها والآخرين بحيث تكتشف أنها جزء من الطبيعة وبذلك يكتشف القاريء فكرة الشكل المنظم للحياة • ان قيمة الفن لا تكمن في تمثيل الحقائق أو التعليق عليها بل في العمل كمرآة للانسان في الحياة وفي الطبيعة •

٣ – الاسلوب : ان الفن هو الحقيقة معبرا عنها بصورة لا تقبل التغير • أي لا يمكن استعمال أسلوب آخر في عمل فني ما • ذلك أن الاسلوب « البناء » يعتمد على ايجاد شكل منظم ، أي أن الفنان يعطينا باستمرار وفي كل جزء من أجزائه انطباعا مماثلا للحياة التي يتحدث عنها وأن يرينا أن النهاية مرتبطة بالبداية ان لم تكن هي نفسها • وفي الاسلوب نجد عدا الشكل عاملا هاما هو القوة • اذ ترتكز جميع الاشكال الادبية على خلق توتر في النفس • هذا التوتر يتراوح بين التأثر الروحي أو الاحساس العنيف أو التوقع أي الأمل في اشباع رغبة لم تشبع وهذا أهم ما يحرك الخيال • وعن طريق هذه القوة تتطهر النفس البشرية ، أما الشكل فيوصلها الى حالة الادراك الكلي •

ان هذه الافكار مستمدة من فلسفات الصيرورة الميتافيزيكية • والفكرة الاولى تقترب من الانسانيين والثانية من الارسطيين والثالثة تتعلق بالفن القوطي مع شيء من التعميم • ولم يفصل العصر في هذه القضايا بعد فلكل مذهب وجهة نظر • الا أنني أقبل الاخذ بهذه المبادىء مع بعض التحفظات التي لا مجال لمناقشتها الآن •

وأخيرا يجب أن أؤكد احترامي للآثار المنشورة والتي لم أشر اليها في هذا النقد لانني لم أتفاعل معها سلبا وايجابا • ومن واجب الناقد ألا يتعامل مع الآثار التي لم تثره اذ أنه سوف يكتفي بتشريحها والقائها جانبا • ان النقد حرفة يجب أن يتقن الناقد أصولها ، لكنه في نفس الوقت عليه أن يظل هاويا لا يتحدث الا عما يثير انفعاله •